

نسيان com

أحلام مستغانمي

مرفق CD جاهدة وهبه
تغني نسيان أحلام مستغانمي

دار الآداب

يحظر بيع هذا الكتاب للرّجال

نسيان.com

أحبّيه كما لم تحبّ امرأة و **انسيه** كما ينسى الرجال

إهداء أوّل

أهدي هذا الكتاب أوّلا إلى قراصنة كتبي. فلا أعرف أحدًا انتظر إصدارًا جديدًا لي كما انتظروه.

أنا مدينة لهم بانتشاري. فلولاهم ما فاضت المكتبات بآلاف النسخ - المقلّدة طبق الأصل - عن كتبي.

إلى صديقتي تلك.

إلى نبل ترفّعها أرفع هذا الكتاب.

إلى النساء اللواتي عقدن قرانهن على الانتظار

و إلى " الرجال الرجال " الذين بمجيئهم تتغيّر الأقدار.

هكذا تورطت في هذا الكتاب

أغبطك نعمة الخشب، نعمة النسيان
أيّها الباب
سوف تحيا من بعدي

فقيد الشعر بسام حجّار

الكاتب مرشدًا عاطفيًّا

بماذا يفيد الأدب إن لم يعلّمنا كيف نحبّ؟

كامي لورانس

للشاعر ريلكه كتاب عنوانه "رسائل إلى شاعر شاب". يشرح فيه لمن يريد القبض على نار الشعر كيف يصبح شاعرًا. و أيّ جحيم عليه أن يعبر قبل بلوغه فردوس القصيدة. و مؤخرًا أصدر الروائي البيروفي - الوسيم شكلًا و قلمًا - ماريو بارغاس يوسا كتابًا بعنوان "رسائل إلى روائي شاب". هبّ من خلاله لنجدة الروائيّين الشباب الحائرين أمام الكيمياء المعقّدة للإبداع التي تتفاعل في دهاليز النفس المعتمة و القصيّة، مثل فن لا يمكن القبض عليه.

أمّا المفاجأة الأخيرة فكانت القصيدة التي تركها محمود درويش قبل رحيله كوصيّة لشاعر شاب. كمن يترك آخر تعاليمه و يُهدي أخطاءه لمن سيواصل الطريق بعده، مختصرًا عليه عمرًا من الهفوات.

حدث كثيرا أن تمنّيتُ لو أنّي أملك الوقت و الصبر اللازميْن لكتابة "رسائل إلى عاشقة شابة".

لا أحد يعلّمنا كيف نحبّ.. كيف لا نشقى.. كيف ننسى.. كيف نتداوى من إدمان صوت من نحبّ.. كيف نكسر ساعة الحبّ.. كيف لا نسهر.. كيف لا ننتظر.. كيف نقاوم تحرّش

الأشـــياء بنـــا.. كيـــف نحـــبط مـــؤامرة الـــذكريات.. و صـــمت الهاتف.
كيـف لا نهـدر أشـهرًا وأعوامًـا مـن عمرنـا فـي مطـاردة وهـم العواطـف.. كيـف نتعـاطف مـع جلّادنـا مـن دون أن نعـود إلـى جحيمـه.. كيـف ننجـو مـن جحيمـه مـن دون أن نلقـي بأنفسـنا فـي تهلكـة أوّل حـبّ.. كيـف نخـرج مـن بعـد كـلّ حـبّ أحيـاء و أقوياء.. و ربما سعداء.
هـل مـن يخبرنـا و نحـن نبكـي بسـبب ظلـم مـن أحببنـا أنّنـا يومًـا سنضحك ممّا اليوم يبكينا؟
سـنندم كثيـرًا لأنّنـا أخـذنا الحـبّ مأخـذ الجـدّ. فـلا أحـد قـال لنـا أنّـه في الواقع أجمل أوهامنا و أكثرها وجعًا.
لسـبب بسـيط: قـدر الحـبّ الخيبـة. لأنّـه يولـد بـأحلام شـاهقة أكبـر من أصحابها. ذلك أنّه يحتاج أن يتجاوزهم ليكون حبًّا.
لا يمكـن حصـر عـدد الكتّـاب الـذين عبـر الأزمنـة و الحضـارات و بكـلّ اللغـات عملـوا مرشـدين عـاطفيّين للتـائهين مـن العشـاق فـي الأزقـة و الشـوارع الجانبيّـة للحـبّ. لـيس لـي هـذا الإدعـاء. أنـا مجـرّد ممرضـة لا تملـك سـوى حقيبـة إسـعافات أوليّـة لإيقـاف نزيف القلوب الأنثويّة عند الفراق.
مـع القطـن و السـبيرتو و الضـمّادات, أحمـل لكـنّ كثيـرًا مـن الضحك.هل تعرفن علاجًا أفضل ؟
+ كتبـت " دليـل النسـيان " هـذا بسـخرية كبيـرة. أريـدكن أن تضـحكن. لا شـيء يسـتحقّ الأسـى. " هـل ثمّـة مـا هـو أكثـر سـعادة مـن الفـراق؟ " تسـأل غـادة السـمّان. أو بـالأحرى هـي تجزم بذلك.

فــي النهايــة، مــا النســيان ســوى قلــب صــفحة مــن كتــاب العمــر. قــد يبــدو الأمــر ســهلًا، لكــن مــا دمــت لا تســتطيع اقتلاعهــا ســتظل تعثــر عليهــا بــين كــلّ فصــل مــن فصــول حياتــك. لــيس نظــرك هــو الــذي يتوقــف عنــدها، بــل عمــرك المفتــوح عليهــا دومًــا، كأنّهــا مستنســخة علــى كــلّ صــفحات حياتــك . لــذا يعلّــق مالــك حــداد بــتهكّم مــرّ " يجــب قلــب الصــفحة، هــل فكــرتم فــي وزن الصــفحة التي نقلبها؟ ".

دور الكاتــب تخفيــف وزن هــذه الصــفحة مــا اســتطاع، و قلبهــا نيابــة عــنكم. دعــوني أحــاول. ربمــا اســتطعت قلــب صــفحتكم هــذه. ذلك أنّه من الأسهل قلب صفحة الآخرين !

الفصول الأربعة.. للحبّ

كتبتنـــــي
باليـــد التـــي أزهــرت فـــي ربيعــك
بــــالقبلات التــــي كنـــت صـــيفها
بـالورق اليـابس الـذي بعثـره خريفـك
بـالثلج الـذي سرت على نـاره حافيـة

قبـــل أعـــوام عَلِمْـــتُ أنّ بعـــض الجمـــل التـــي جـــاءت فـــي كتبـــي, يتبادلها العشّاق في ما بينهم كرسائل هاتفيّة.
مـــا كـــان يضـــاهي ســـعادتي إلّـــا ذعـــري أمـــام هـــذا الخبـــر. أيّـــة مســـؤوليّة أن أصـــبح شـــيخة طريقـــة فـــي الحـــبّ, و أن يغـــدو لـــي أتبـــــاع و مريـــــدين يســـــيرون علـــــى مـــــذهبي العـــــاطفي, و يـــــروون عنـــــي أقوالًـــــا لســـــت واثقـــــة تمامًـــــا مـــــن صـــــحّتها. و نصـــــائح مـــــا خبـــــرت عواقبهـــــا. فأنـــــا لا أملـــــك لهـــــم فتـــــاوى و لا مـــــواعظ و لا أحكـــــام شـــــرعيّة. الحـــــبّ لا شـــــرع لـــــه و لا مذهب.
لكنّـــي دومًـــا وجـــدتني متورّطـــة فـــي قصـــص حـــبّ قرّائـــي. حتـــى الرجـــال كـــانوا يســـتنجدون بـــي لحـــلّ مشـــاكلهم العاطفيّـــة.
[حـــين صـــدرت ذاكـــرة الجســـد قبـــل خمـــس عشـــرة ســـنة التقّـــت حـــولي كـــلّ طوائـــف العشـــاق. أذكـــر أنّنـــي قضـــيت أســـابيع علـــى الهـــاتف أحـــلّ مشـــكلة ضـــابط فـــي الجـــيش يحـــبّ فتـــاة مـــن غيـــر

طائفته. و مشكل شاعر حجبوا عنه حبيبته - تمامًا كما في العصر الجاهلي - منعوها من مغادرة البيت و منعوا عنها الهاتف و ما عاد يعلم عنها شيئًا. و كان عليّ أن أتنكّر و أن أتقصّى أخبارها بعد أن جاءني بهاتف أهلها.
أحدهم بعث لي مرّة رسالة من الأردن يطلب منّي أن أهاتف حبيبته في عيد ميلادها لأنّها ترفض الردّ على هاتفه. كان يريد أن أبلغها أنّه يحبّها و يعتذر منها لأنّه أخطأ في حقّها. أو لعلّه خانها.
قال أنّه ما وجد طريقًا إليها سواي لعلمه كم تحبّني. و كم بإمكاني أن أؤثّر على قرارها. من حسن حظّه أنّني مررتُ بمكتب البريد يومها. فقد وصلت الرسالة في يوم عيدها. و قضيت وقتًا على الهاتف أقنعها بالدفاع عن حبّها. و منح هذا العاشق فرصة أخرى.
و في أحد معارض الكتاب بالجزائر. قصدني أحدهم سعيدًا برؤيتي قال أنّه تردّد على المعرض عساه يصادفني لأنّ حبيبته طلبت منه مهرًا كتاب عابر سرير بتوقيعي الذي كان قد صدر لتوّه. فتركتُ لها قبلة على الكتاب و حدّثتها على هاتفه و وعدتهما يوم زواجهما بثلاثة أيام إقامة في أيّ فندق يختارانه في الجزائر. فقد كان واضحًا أنّهما طالبان جامعيّان لا يملكان إلّا ثراء الحبّ. كانت تلك أجمل وعودي على الإطلاق. ككاتبة متورّطة في حياة قرّائها حدّ التحول إلى وكالة زواج و تأمين مراسيم الأفراح للعرسان منهم. لكنّهما ما عاودا الاتصال بي. لعلّهما افترقا.. أو لعلّها ما أحبّت الكتاب !

على مدى عمر من الكتابة. كم استودعتني النساء من أسرار. و كم تجمّعت لديّ قصص عن الحبّ. و كم امتلأت دفاتري بأفكار و مقولات في الحبّ يصعب حشرها جميعها في أعمالي الروائية. كانت نيّتي الأولى جمعها في كتاب واحد. لكنّها غدت أكبر من أن يضمّها كتاب. و حين رحت أفكّر في تقسيمها حسب المواضيع. غدت مقسّمة حسب مراحل الحبّ. أيّ حسب فصوله الأربعة:

فصل اللقاء و الدهشة
فصل الغيرة و اللهفة
فصل لوعة الفراق
فصل روعة النسيان

إنّها رباعيّة الحبّ الأبديّة بربيعها و صيفها و خريفها و أعاصير شتائها. وحده إبراهيم ناجي استطاع أن يختصرها في قصيدة واحدة هي رائعته " الأطلال ".
حين وُلِدَتْ هذه الفكرة أثناء حديث جمعني بصديقتي الغالية المطربة جاهدة وهبي. فكّرنا أن يكون كلّ كتاب مرفقًا بأغانٍ تناسب فصله العاطفيّ. فجاهدة التي لحّنت و غنّت لي أربعة عشر نصًّا شعريًّا. تملك لي أرشيفًا غنائيًّا يغطّي الفصول الأربعة و يزيد.
و هكذا تحوّل المشروع من كتاب إلى سلسلة من أربعة كتب عن الحبّ. لن تكون جميعها موجّهة حصريًّا للنساء، في الفصول القادمة سيكون للرجال مساحة أكبر. و إن كان هذا

الفضاء سيظلّ بالدرجة الأولى نسائيًّا بنيّة رفع الغبن العاطفيّ عنهن بصفتهن أولى ضحايا الحبّ !
لقد تحمّسْتُ لهذا المشروع إلى حدّ سَرَقَتْ من عملي الروائيّ (الذي أصبح جاهزًا تقريبًا) ثلاثة أشهر لكتابة هذا الكتاب.
إن بقيت على هذا الحماس ربما تمكّنت في حدود السنة إنجاز هذه السلسلة (قولوا إن شاء الله).
لماذا اخترت النسيان فصلًا أوّلًا و ليس اللقاء؟
لأن على النسيان يُؤسّس الحبّ ذاكرته الجديدة. و من دونه لا يمكن لحبّ أن يولد. [و لأنّه الفصل الذي يتفوّق فيه علينا الرجال, و يذهلوننا بقدرتهم على التعافي و الشفاء. بينما تترك بعض النساء سنوات من أعمارهن، فائض قيمة إضافيّة.. ثمنًا لنسيان رجل سبق لحبّه أن أخذ منهن سنوات أخرى].
كتبْتُ هذا الكتاب و حولي نساء يخضن معارك بالسلاح الأبيض مع الماضي. صديقات يستنجدن بي لفضّ الاشتباك بينهن و بين الذكريات. كما لو كنت " رجال القبعات الزرقاء" المكلّفين من جمعيّة الأمم بالفصل بين طرفي نزاع.
لأولئك النساء المعذّبات, ما كان يمكن أن أقدّم كتابًا في الحبّ و هنّ ينزفن بجروح الماضي كان لا بدّ أن يتعافين تمامًا - كما الرجال - أن يتقبّلن فكرة أن ينسين أخيرًا مثلهم, ما دام النسيان في متناول الجميع. كي يغادرن شتاء الحبّ إلى ربيعه.

[طلــب أســتاذ يابــاني مــن تلاميــذه تعريــف الــثلج. أحــدهم أجــاب " إنّــه بدايــة الربيــع ". كــان التلميــذ مشــروع شــاعر. و كــان بــذلك التعريــف يختصــر لنــا مــيلاد الحــبّ مــن صــقيع النهايــات و الخيبــات. أيّ ممّــا ســيذيبه النســيان غــدًا و يغــذّي بجداولــه مروج الحبّ الجديد]

* * *

واذا التأم جرح   جد بالتذكار جرح

فتعلم كيف تنسى   و تعلم كيف تمحو

ابراهيم ناجي

ليشهد الأدب أنّني بلّغت!

الحبّ مثل الموت وعد لا يردّ و لا يزول

محمود درويش

أكبر لغزين في الحياة هما قطعًا الموت والحبّ.
كلاهما ضربة قدر صاعقة لا تفسير لها خارج (المكتوب).
لذا، تتغذّى الأعمال الإبداعيّة الكبرى من الأسئلة الوجوديّة المحيّرة التي تدور حولهما.
ذلك أنّ لا أحد يدري لماذا يأتي الموت في هذا المكان دون غيره، ليأخذ هذا الشخص دون سواه، بهذه الطريقة لا بأخرى، و لا لماذا نقع في حبّ شخص بالذات . لماذا هو ؟ لماذا نحن ؟ لماذا هنا ؟ لماذا الآن ؟
لا أحد عاد من الموت ليخبرنا ماذا بعد الموت. لكن الذين عادوا من " الحبّ الكبير " ناجين أو مدمّرين، في إمكانهم أن يقصّوا علينا عجائبه، ويصفوا لنا سحره وأهواله، وأن ينبّهونا إلى مخاطره ومصائبه، لوجه الله .. أو لوجه الأدب.

إذا لم يكن للأدب في حياتنا دور المرشد العاطفيّ من يتولاه إذن ؟
ومن يعدّنا لتلك المغامرة الوجدانيّة الكبرى، التي ستهزّ كياننا عندما لا نكون مهيّئين لها. وستواصل ارتجاجاتها التأثير في أقدارنا و خياراتنا، حتى بعد أن ينتهي الحبّ ويتوقّف زلزاله.
إن كانت الهزّات العاطفيّة قدرًا مكتوبًا علينا، كما كُتبَتْ الزلازل على اليابان، فلنتعلّم من اليابانيين إذن، الذين هزموا الزلزال بالاستعداد له، عندما اكتشفوا أنّهم يعيشون وسط حزامه.
يمرّ زلزال خفيف على بلد عربي، فيدمّر مدينة عن بكرة أبيها، ويقضي على الحياة فيها لسنوات عدة. ذلك أنّ الإنسان العربي قدريّ بطبعه، يترك للحياة مهمّة تدبّر أمره، و في الحياة كما في الحبّ لا يرى أبعد من يومه. وهو جاهز تمامًا لأن يموت ضحيّة الكوارث الطبيعيّة أو الكوارث العشقيّة، لأنّه يحمل في تكوينه جينات التضحيات الغبيّة للوطن و للحاكم المستبد.. و للعائلة و الأصدقاء و للحبيب.
و تصمد جزر اليابان يوميًّا في وجه أقوى الزلازل. كلّ مرة تخرج أبراجها واقفة و أبناؤها سالمين. عندهم يعاد إصلاح أضرار الزلازل في بضعة أيام. و تعدّ الخسائر البشرية بأرقام مقياس ريختر.. لا بقوّته. فقلّما تجاوز الضحايا عدد أصابع اليد.
صنعت اليابان معجزاتها بعقلها، و صنعنا كوارثنا جميعها بعواطفنا.

مـــاذا لـــو أعلنّـــا الحـــبّ كارثـــة طبيعيّـــة بمرتبـــة إعصـــار أو زلـــزال أو حرائـــق موســـميّة. لـــو جرّبنـــا الاســـتعداد لـــدمار الفـــراق بتقويـــة عضـــلة قلبنـــا الـــذي صَـــنعَتْ ســـذاجته و هشاشـــته الأغـــاني العاطفيّـــة و الأفلام المصرية التي تربّينا عليها.

كمـــا المبـــاني اليابانيّـــة المـــدروس عمارهـــا ليتحـــرّك مـــع كـــلّ هـــزّة علينـــا أن نكتســـب مرونـــة التـــأقلم مـــع كـــلّ طـــارئ عشـــقيّ. و التكيّـــف مـــع الهـــزّات العاطفيّـــة و ارتجاجـــات جـــدران القلـــب التـــي تنهـــار بهـــا تلـــك الأشـــياء التـــي أثثنـــا بهـــا أحاسيســـنا. و اعتقـــدنا أنّها ثابتة و مسمّرة إلى جدران القلب إلى الأبد.

علينـــا أن نربّـــي قلبنـــا مـــع كـــلّ حـــبّ علـــى توقّـــع احتمـــال الفـــراق. و التـــأقلم مـــع فكـــرة الفـــراق قبـــل التـــأقلم مـــع واقعـــه. ذلـــك أنّ فـــي الفكرة يكمن شقاؤنا.

مـــاذا لـــو جرّبنـــا الاســـتعداد للحـــبّ بشـــيء مـــن العقـــل ؟ لـــو قمنـــا بتقويـــة عضـــلة القلـــب بتمـــارين يوميّـــة علـــى الصـــبر علـــى مـــن نحـــبّ. أن نقـــاوم الســـقوط فـــي فخـــاخ الـــذاكرة العاطفيّـــة التـــي فيهـــا قصاصـــنا المســـتقبلي. أن نـــدخل الحـــبّ بقلـــب مـــن " تيفـــال ". لا يعلـــق بجدرانـــه شـــيء مـــن الماضـــي. أن نـــذهب إلـــى الحـــبّ كمـــا نغـــادره دون جـــراح، دون أسًـــى، لأنّنـــا مصـــفّحين ضـــدّ الأوهـــام العاطفيّـــة. مـــاذا لـــو تعلّمنـــا ألّـــا نحـــبّ دفعـــة واحـــدة، و ألّـــا نعطـــي أنفســـنا بالكامـــل، وأن نتعامـــل مـــع هـــذا الغريـــب لا كحبيـــب، بـــل كمحتـــل لقلبنـــا وجســـدنا وحواســـنا، ألّـــا يغادرنـــا احتمـــال أن يتحـــوّل اســـمه الـــذي تنتشـــي لســـماعه حواســـنا، إلـــى اســـم لزلـــزال أو إعصار يكون على يده حتفنا و هلاكنا ؟

أيّتهـــا العاشـــقات الســـادّجات، الطيّبـــات، الغبيّـــات.. ضـــعن هـــذا القول نصب أعينكن: "ويل لخلّ لم ير في خله عدوًّا".
ليشهد الأدب أنّني بلّغت !

توضيح للرجال المتسلّلين إلى هذا الكتاب:

أيّها " الرجال الرجال " سنصلي للّه طويلًا كي يملأ بفصيلتكم مجددًا هذا العالم , و أن يساعدنا على نسيان الآخرين !

ليس هذا " مانيفست" نسويّ ".
إنّه جردة نسائيّة ضدّ الذكورة دفاعًا عن الرجولة. تلك الآسرة التي نباهي بوقوعنا في فتنتها. لأنّ من دونها ما كنّا لنكون إناثًا و لا نساءً.
من قال أنّنا نهجس بتلك الفحولة التي تباع في الصيدليات. أو تلك الذكورة النافشة ريشها التي تفتح أزرار قمصانها لكي تبدو السلاسل الذهبيّة الضخمة و ما فاض من غابات الشعر و تضع في أصابعها خواتم بأحجار لافتة للنظر. رجولة الساعات الثمينة و السيجار الفخم التي تشهر أناقتها و عطرها و موديل سيارتها و ماركة جوّالها، كي تشي بفتوحاتها السابقة و تغرينا بالانضمام إلى قائمة ضحاياها.
ما نريده من الرجال لا يُباع، و لا يُمكن للصين و لا لتايلاند أن تقوم بتقليده، و إغراق الأسواق ببضاعة رجالية تفي بحاجات النساء العربيّات.
ذلك أن الشهامة و الفروسيّة و الأنفة و بهاء الوقار و نبل الخُلق و إغراء التقوى و النخوة و الإخلاص لامرأة واحدة و الترفع عن الأذى و ستر الأمانة العاطفيّة و السخاء العشقيّ

الموجـع فـي إغداقـه و الاسـتعداد للـذود عـن شـرف الحبيبـة بكـلّ خليّـة و حتـى آخـر خليّـة و مواصـلة الوقـوف بجانبهـا حتـى بعـد الفراق.
تلـك خصـال لعمـري ليسـت للبيـع. بـل إنّ مجـرد سـردها هنـا يـدفع للابتسام، و يشعرنا بفداحة خساراتنا و ضآلة ما في حوزتنا.
أين ذهب الرجال ؟ الكلّ يسأل.
اختفـاء الرجولـة لـم يلحـق ضـررًا بـأحلام النسـاء و مسـتقبلهن فحسب، بل بناموس الكون و بقانون الجاذبيّة.
مـا الاحتبـاس الحـراري إلّـا احتجـاج الكـرة الأرضـيّة علـى عـدم وجـود رجـال يغـارون علـى أنوثتهـا. لقـد سـلّموها كمـا سـلّمونا " للعلوج "، فعاثوا فينا و فيها خرابًا و فسادًا.
لتـتعلّم النسـاء مـن أمّهـن الأرض، لا أحـد اسـتطاع إسـكاتها و لا إبـرام معاهـدة هدنـة معهـا. مـا فتئـت تـردّ علـى تطـاولهم عليهـا بالأعاصـير و الزوابـع و الحرائـق و الفيضـانات. هـي تعـرف مع من تكون معطاءة و على من تقلب طاولة الكون.
ليعقـدوا مـا شـاؤوا مـن المـؤتمرات ضـدّ التصـحّر و التلـوث و ثقـب الأوزون و الاحتبـاس الحـراري. ليسـت الأرض مكترثـة بمـا يقولـون. هـي تـدري أنّ الرجولـة لا تـتكلّم كثيـرًا، لا تحتاج إلّا أن تكون فيستقيم بوجودها ناموس الكون.
الرجولـة.. أعنـي تلـك التـي تـؤمن إيمانًـا مطلقًـا لا يـراوده شـكّ أنّهـا وجـدت فـي هـذا العـالم لتعطـي لا لتـؤذي. لتبنـي و تحـبّ و تهب.
الرجولـة... فـي تعريفهـا الأجمـل تختصـرها مقولـة كاتـب فرنسـي " الرجـل الحقيقـي لـيس مـن يغـري أكثـر مـن امـرأة بـل الـذي

يغــري أكثــر مــن مــرّة المــرأة نفســها ".. التــي تــؤمن بــأنّ العــذاب لــيس قــدر المحبّــين و لا الــدمار ممــرًّا حتميًّــا لكــلّ حــبّ و لا كــلّ امــرأة يمكــن تعويضــها بــأخرى. و أنّ النضــال مــن أجــل الفــوز بقلــب امــرأة و الحفــاظ عليــه مــدى العمــر هــي أكبــر قضــايا الرجــل و أجملها على الإطلاق. و عليها يتنافس المتنافسون.

هــذا الكتــاب يســمح لمــن تســلّل مــن الرجــال هنــا، أن يــتعلّم مــن أخطــاء غيــره مــن " الــذكور " مــن بــاب " تعلّــم الأدب مــن قليــل الأدب ".

علــيهم أن يتعلّمــوا الحــبّ مــن قليلــي الحــبّ. أن يعتبــروا بمصــائر الكــاذبين و الخونــة و المتــذاكين و الأنــانيّين. و ليأخــذوا علمًــا أنّ النساء استيقظن من سباتهن الأزلي.

أمّــا الرجــال الحقيقيّــون فأعتــذر لهــم. أحــبّ إثــم ذكــائهم. فأنــا واثقــة أنّهــم ســينجحون فــي رشــوة النســاء بمــا يملكــون مــن وســائل " رجالية " لا تصمد أمام إغراءاتها امرأة.

لمزيــد مــن الاعتــداد بــالنفس و الســخرية، ســيكلّفون امــرأة بإحضــار هــذا الكتــاب المحظــور علــيهم. كــي يضــحكوا فــي ســرّهم قبــل حتــى أن يقــرؤوه. فهــم يــدرون أنّ المــرأة كالشــعوب العربيّــة تتــآمر علــى قضــيّتها. و تخــون بنــات جنســها ولاءً منهــا لــوليّ قلبها: الرجل.

لــذا كــلّ مكاســب المــرأة عبــر التــاريخ كانــت بفضــل فرســان منقذين نبّهوها إلى خدعة الذكورة.

ســنظلّ نحلــم أن تكــون لنــا بهــؤلاء الرجــال قرابــة. أن نكــون لهــم أمّهات أو بنات.. زوجات أو حبيبات.. كاتبات أو ملهمات.

أولئـــك الجميلـــون الـــذين يســـكنون أحلامنـــا النســـائيّة. الـــذين يـــأتون ليبقـــوا.. و يطمئنـــوا.. و يمتّعـــوا.. و يـــذودوا. ليحمـــوا و يحنـــوا و يســـندوا.. الـــذين ينســـحبون ليعـــودوا. و لا يتركـــون خلفهـــم عنـــد الغيـــاب كـــوابيس و لا جـــراح و لا ضـــغينة. فقـــط الحنـــين الهـــادر لحضـــورهم الآســـر, و وعـــدًا غيـــر معلـــن بعـــودتهم لإغرائنـــا كمـــا المرّة الأولى.

+ كـم مـن مـرّة سـنقع فـي حـبّهم بالـدوار ذاتـه، باللهفـة إيّاهـا. غيـر معنيّات برماد شعرهم و بزحف السنين على ملامحهم.
ليشيخوا مطمئنين. لا الزمن , لا المرض, لا الموت , سيقتلهم من قلوبنا نحن " النساء النساء ".
كيف لحياة واحدة أن تكفي لحبّ رجل واحد ؟
كيـــف لرجـــل واحـــد أن يتكـــرّر.. أن يتكـــاثر بعـــدد رجـــال الأرض.

* * *

" ما أندر الرجال الذين نفشل في نسيانهم، و لكن إذا مرّ أحدهم بصفحة الروح، دمغها إلى الأبد بوشمه "

غادة السمان

شبهة النسيان

للحبّ طعنة خرساء، و لنسيانه نهر من الخناجر

فوزية السندي

تكتبين روايات و قصائد في الحبّ, و لا يسألك أحد في من كتبتها. و لا هل يحتاج المرء حقًّا كلّ مرّة أن يحبّ ليكتب عن الحبّ. (لو كان نزار حيًّا لأضحكه السؤال. فالشاعر العربي الذي كتب خمسين ديوانًا في الحبّ. لم يحبّ سوى مرّات معدودة في حياته) ذلك أنّ ذكرى الحبّ أقوى أثرًا من الحبّ، لذا يتغذّى الأدب من الذاكرة لا من الحاضر.

لكنّك تقولين أنّك تكتبين كتابًا عن النسيان و يصبح السؤال " من تريدين أن تنسي " ؟

+ لكأنّ النسيان شبهة تفوق شبهة الحبّ نفسه. فالحبّ سعادة. أمّا السعي إلى النسيان فاعتراف ضمني بالانكسار و البؤس العاطفي. و هي أحاسيس تثير فضول الآخرين أكثر من خبر سعادتك. لكن الاكتشاف الأهم هو أن المتحمّسين لقراءة " وصفات للنسيان " أكثر من المعنيّين بكتاب عن الحبّ. النساء و الرجال من حولي يريدون الكتاب نفسه. أوضّح للرجال "

و لكنّه ليس كتاب لكم "... يردّون " لا يهم في جميع الحالات نريده "!

كلّ من كنت أظنّهم سعداء، انفضحوا بحماسهم للانخراط في حزب النسيان. ألهذا الحدّ كبير حجم البؤس العاطفي في العالم العربي؟!

لا أحد يعلن عن نفسه. الكلّ يخفي خلف قناعه جرحًا ما، خيبة ما، طعنة ما، ينتظر أن يطمئن إليك ليرفع قناعه و يعترف: ما استطعت أن أنسى!

أمام هذه الجماهير الطامحة إلى النسيان. المناضلة من أجل التحرر من استعباد الذاكرة العشقيّة. أتوقع أن يتجاوز هذا الكتاب أهدافه العاطفيّة إلى طموحات سياسيّة مشروعة. فقد صار ضروريًّا تأسيس حزب عربي للنسيان.

سيكون حتمًا أكبر حزب قومي. فلا شرط للمنخرطين فيه سوى توقهم للشفاء من خيبات عاطفيّة.

أراهن أن يجد هذا الحزب دعمًا من الحكّام العرب لأنّهم سيتوقّعون أن ننسى من جملة ما ننسى , منذ متى و بعضهم يحكمنا , و كم نهب هو و حاشيته من أموالنا. و كم علقت على يديه من دمائنا.

دعوهم يعتقدون أنّنا سننسى ذلك!

اذ أننا نحتاج أن نستعيد عافيتنا العاطفيّة كأمّة عربيّة عانت دومًا من قصص حبّها الفاشلة. بما في ذلك حبّها لأوطان لم تبادلها دائمًا الحبّ. حينها فقط، عندما نشفى من هشاشتنا العاطفيّة المزمنة , بسبب تاريخ طاعن في الخيبات الوجدانيّة. يمكننا مواجهتهم بما يليق بالمعركة من صلابة و صرامة.

ذلــك أنّــه مــا كـــان بامكـــانهم الاســـتقواء علينـــا لـــولا أن الخـــراب فـــي أعماقنـــا أضـــعفنا. و لأنّ قصـــص الحـــبّ الفاشـــلة أرّقتنـــا و أنهكتنـــا, و الوضـــع فـــي تفـــاقم.. بســـبب الفضـــائيّات الهابطـــة التـــي وجـــدت كـــي تشـــغلنا عـــن القضـــايا الكبـــرى وتســـوّق لنـــا الحـــبّ الـــرخيص و العواطـــف البائســـة فتبقينـــا علـــى مـــا نحـــن عليـــه مـــن بكـــاء الحبيـــب المستبد... و نسيان أنواع الاستبداد الأخرى...

مـــن يشـــاركني الـــرأي و يـــودّ الانخـــراط فـــي حـــزب جديـــد لا ذاكـــرة لـــــه و لا ســـــوابق مصـــــرفيّة و لا تـــــاريخ دمـــــوي. و لا شـــــعارات نضاليّة أو أصوليّة بإمكانه الانضمام إلينا في موقع:

www.nissyane.com

لـــيس فـــي مشـــروعنا مـــن خطّـــة ســـوى مواجهـــة إمبرياليـــة الـــذاكرة و العدوان العاطفي للماضي علينا..

لـــيس فـــي جيوبنـــا وعـــود بحقائـــب وزاريّـــة. فقـــط نعـــدكم بـــأن نحمـــل عـــنكم وزر الخيبـــات. لا نتوقـــع دعمًـــا ماديًّـــا مـــن أحـــد لـــذا نحـــن فقراء إلى دعواتكم بالخير.

أيهـــا النـــاس اســـمعوا وعـــوا . لا أرى لكـــم والله مـــن خـــلاص الا فـــي النســـيان . فـــلا تشـــقوا بـــذاكرتكم بعـــد الآن . انشـــقّوا عـــن أحـــزابكم و طـــــوائفكم و جنســـــيّاتكم و مكاســـــبكم و انخرطـــــوا فـــــي حـــــزب جميعنا متساوين فيه أمام الفقدان.

ليخبر القارئ منكم من لم يقرأ هذا الكتاب.

طالبين النسيان

آمن أنّك ستنسى أكثر مما تتمنّى

ألفريد دي موسيه

بالإذن من العزيز مروان نجار صاحب مسلسل "طالبين القرب". إحنا "طالبين النسيان". فهذا عصر المطالب. ثمّة من يطالب بتطبيق الاتفاقيّات الدوليّة. و آخر بإنقاذ الكرة الأرضيّة من مخاطر الاحتباس الحراري و ثالث بوقف الحظر الاقتصادي على كوبا و منع الأطعمة المعدّلة جينيًّا و إيقاف الأبحاث حول الخلايا الجذعيّة. و ثمّة من يطالبك بتغيير لمبات الإضاءة إنقاذًا لمستقبل الأرض. و ترشيد استهلاك المياه حفاظًا على الموارد المائيّة و حماية البيئة بعدم استعمال الأكياس البلاستيكيّة.

أمّا نحن النساء، فجاهزات لترشيد استهلاكنا للبطاقات المصرفيّة و عدم مساءلة الرجال عن هدر ثرواتنا المائيّة. و التنازل عن حصّتنا من الأكسيجين على قلّتها في العالم العربي. كلّ هذا مقابل مطلب واحد:

حمايتنـــا مـــن عواقـــب تعلّقنـــا الغبـــي ب " كراكيـــب " الـــذاكرة العاطفيّة. نحن نطالب بالمساواة في النسيان مع الرجال.
و نقســم بــأغلظ الإيمــان، أنّنــا لــن نطالــب بعــدها بأيّــة مســاواة أخـــرى فـــي الأجـــور، أو فـــرص العمـــل.. أو الإرث أو حتـــى قيادة السيارة.
لا بــدّ للعلمــاء المنهمكــين فــي أبحــاث غبيّــة لا فائــدة مــن ورائهــا أن ينكبّــوا علــى حــلّ مشــكل يعنــي نصــف ســكان الكــرة الأرضــيّة بتعــديل جينــات الــذاكرة النســائيّة حتــى يتســنّى لنــا يومًــا أن ننســى مثلمــا ينســى الرجــال. و نضــيء مشــاعرنا - بلمبــات معتمــدة حـــديثًا فـــي الغـــرب - أقـــلّ اســـتهلاكًا للأعصـــاب و الطاقـــة و ببطريّات لأحاسيس لا تعمّر طويلًا.
نطالـــب بتطـــوير الأبحـــاث حـــول الخلايـــا الجذعيّـــة - و الجذريّـــة - إن وجـــدت علّنـــا نعـــرف جـــذر هـــذه البلـــوى... التـــي تجعلنـــا محكومـــات بالوفـــاء لـــذكريات تعـــيش و تعشّـــش فينـــا وحدنا.
إنّــه نــداء نرفعــه إلــى العلمــاء. نناشــدهم إيجــاد عــلاج للحــدّ مــن تفشـــي داء الوفـــاء للماضـــي لـــدى إنـــاث الجـــنس البشـــري. ذلـــك أنّ الوفــاء مــرض عضــال لــم يعــد يصــيب علــى أيامنــا إلّــا الكــلاب... و الغبيّات من النساء!

هكذا تورّطت في هذا الكتاب:

إذا كان الحبّ يملك شفيعًا و قدّيسًا، فالنسيان يحتاج إلى آلهة. من أجل هكذا مصائب وجدت العناية الإلهيّة.. و وجد الأدب.

حين قلت لصديقتي تلك " أحبّيه كما لم تحبّ امرأة و انسيه كما ينسى الرجال "!.
صاحت " يا الله... اكتبيها "!
لكن ما كان لهذه الفكرة أن تكون شعارًا بل نهجًا نسائيًّا تكتسبه المرأة بذكائها الذي هو وليد غباء سابق.
نصيحة بعد أخرى ولد من مكالماتنا الهاتفية ومواساتي لها ما سيصبح كتابًا. كنت أكتب ليلًا ما أقول لها في النهار. فقد وجدت ما أقوله لامرأة يستحقّ أن تأخذ علمًا به جميع النساء. بعد أن تعبتُ من نجدة حلقة الصديقات و قبيلة القارئات اللائي يعشن بالتناوب أسى الخيبات العاطفيّة.
بدأ الأمر مزحة فقد تطوّعت كلّ واحدة بإمدادي بنصائحها و خلاصة " حكمتها ".
رحت أهدي صديقتي تلك أخطائي و أخطاء النساء من حولي. أبحث في تلك الحفريّات العاطفيّة التي تراكمت خلال الأزمنة الجيولوجيّة و شكّلت مخزون السذاجة الأنثويّة عن أسباب تطابق الخيبات النسائيّة و تشابه النماذج الرجالية.

عندها أصبح مطلب الصديقات أن أصدر كتابًا يكون " دليلًا نسائيًّا للنسيان ". خاصّة صديقتي الغالية الدكتورة هنادي ربحي مديرة مكتب الارادة للاستشارات والأبحاث النفسية في دبي. و التي كانت قد اتصلت بي قبل خمس سنوات تدعوني إلى لقاء مع مرضاها الذين كانت تعالجهم بكتاباتي ثمّ عندما تعرّفت عليّ احتارت في علاجي من حماقاتي.

و كنت قبل مدّة عثرت على روايتي " فوضى الحواس " تباع في صيدليّة في شارع الحمراء. مع كتب الحمية و علاج السكري و أمراض الشرايين و القلب.

لفرط مفاجأتي اشتريتها أمام اندهاش الصيدلي. و من جنوني رحت مساءً أقرؤها عساها تشفيني من مرض نفسيّ ما فمنذ سنوات ما عدت كاتبتها.

و بالمناسبة، إنّ العلاج بالقراءة الانتقائيّة هو أحدث طرق العلاج النفسي. حتى أنّه صدر مؤخرًا في باريس كتاب يضمّ مئة عنوان لرواية عالميّة مقسّمة حسب احتياجات كلّ حالة نفسية يمرّ بها القارئ.

ذلك أنّ قراءة كتاب في غير الظرف النفسي الموافق له، قد يكون فيه أذًى نفسيًّا يعادل تناولك أدوية مضرّة بصحتك. لذا في قسمه الثاني يدلّك هذا الكتاب على عناوين الروايات التي ينبغي عليك عدم قراءتها عندما تكون في حالات نفسيّة معيّنة.

يبقى أنّ العلاج المثالي لكلّ أوجاع القلب هو الضحك. و عدم أخذ الذاكرة مأخذ الجدّ.

هـذا كتـاب كتبـتُ كثيـرًا مـن وصـفاته و أنـا أضـحك مـلء قلبـي كمـا فـي تلـك الجلسـات الجميلـة جـوار المدفئـة فـي بيـت صـديقتي الكبيـرة بارعـة الأحمـر. فبارعـة التـي ترجمـت أعمـالي إلـى الانكليزيـة تبـرع فـي قـراءة أحاسيسـي و التوحّـد معـي حزنًـا و بهجـة حـدّ الانصـهار الوجـداني حتـى مـا عـدنا نـدري أيّنـا تتـرجم الأخـرى. و يحـدث أن تنضـمّ إلينـا صـديقة ثالثـة امـرأة بجمـال و ثقافـة عاليـة و بكبريـاء طـاغٍ. بالمناسـبة الكبريـاء هـي الصفة المشتركة لصديقاتي.

ربمـا أكـون كتبـت هـذا الـدليل - أيضًـا - لنفسـي. علّنـي أعـود إليـه و أقـرؤه يومًـا. بـل أنـا التـي أكـره أن أقـرأ كتابًـا لـي بعـد أن يصـدر (حتـى لا تعـذّبني الرغبـة فـي إعـادة كتابتـه) أجـزم أنّنـي سـأكون أوّل مـن يهجـم عليـه حـال صـدوره. عسـاني أسـتفيد و لو من نصيحة واحدة وردت فيه .

ذلـك أنّنـي أولـى بالنصـح مـن قارئـاتي. لكـن كمـا تقـول أمّـي " خلّات راجلها ممدود و راحت تعزّي في محمود ! ".

إذا كانـت النصـيحة بجمـل أكـون قـد أهـديتكن لوجـه الله..

و نكاية في بعض الرجال قافلة من الجمال.

و مـا أبقيـت لـي والله علـى ناقـة و لا جمـل. كـأنّ هـذا الكتـاب أعطاني وهم أن أكون طاعنة في الحكمة !

لا أطمـع فـي غيـر دعـواتكنّ لـي بـالخير. و لاحقًـا بالرحمـة. فأنـا أعتبـر هـذا الكتـاب صـدقة جاريـة و أثـق أنّـه سـيكون أكثـر كتبـي قـراءة نظـرًا لمـا أتوقّعـه مـن ازدهـار حـالي و مسـتقبلي للخيبـات النسـائيّة.. و الخيانـات الرجاليـة. و هـو مـا يسـعدني و يـؤلمني في آن.

لكون هذا الدليل ليس واحد من أعمالي التي استغرقت كتابتها ثلاث سنوات و أكثر. و التي كتبت بعض فصولها و أنا أبكي دفاعًا عن تلك القضايا الكبرى و المفلسة التي آمنت بها.
هذا الكتاب فتح شهيّتي للضحك حتى أنّي كثيرًا ما قمعتُ نزعتي للسخرية السياسيّة أو النسائيّة كي لا يمنع في جلّ البلاد العربيّة. فحتى قبل صدوره غير هذا الكتاب قدر الكثيرات من حولي . أولهن الصبية التي تطوعت لطباعته حبا لي , وطمعا في النسيان مكتفية به مكسبا . فمع كل مقال كنت أبعثه لها كانت تعيد النظر في خياراتها السابقة .
بفضل تواطئها الجميل والحاحها كل يوم على أن أزودها بما كتبته منحتني – أنا المعروفة بكسلي – ما كان ينقصني من حماس لانجازه في ثلاثة أشهر مضحيّة بهوسي بإعادة قراءة مخطوطاتي أكثر من مرّة حدّ ملاحقة المخطوط حتى المطبعة. غير آبهة بمن سيفتح هذا الكتاب شهيتهم للشهرة مشهرين بي .

فقد أردته هديّة لنساء غوانتنامو الحب القابعات في معتقل الذاكرة دون محاكمة عن تهمة لا يعرفها الا السجان!
و أردته خاصة تحدّيًا نسائيًّا أرفعه تجاه نفسي. بعد أن أصبح شعاري " بلى أستطيع ذلك " فيكفي أن تكسب المرأة معركتها الأولى حتى لا يعد بإمكان أحد أن يهزمها.
هل فهمتن الرسالة؟

***

هاتف النسيان

لا تبكــيّن علــى الطلـــــــــل　　و علــى الحبيــب إذا رحــل
و اقطــع مــن الــرحم الــذي　　بــك فــي المناســبة اتصــل
سيّان عنـدك فلــــــــــيكن　　مـن لـم يصلك و مـن وصـل

من "الوصايا المضادة"لأبي نواس

صديقتي التي تخاف أن تنسى

شهران على فراقنا ....قرن و بضع دقائق

لــي صــديقة تعــيش عــذاب القطيعــة العاطفيّــة. مــع كــلّ مــا يرافقهــا مــن حمّــى الــروح و مــن هــذيان تلــك الأســئلة التــي لا جــواب لهــا لكونها تلي الانشطار العشقي الصاعق في مفاجأته.
كانــت مطمئنــة إلــى رجــل حياتهــا. تملــك مؤونــة أربــع ســنوات مــن الــذكريات. و مفكــرة بيضــاء وعــدها أن يملآهــا معًــا حتــى آخــر يــوم مــن عمرهمــا بالمشــاريع الثنائيّــة الجميلــة. كانــت الأثــرى بيننــا فقــد مــلأ الرجــل جيــوب قلبهــا وعــودًا حتــى زهــدت فــي كــلّ شــيء عــداه. كــان ســيّدها و مولاهــا. كــان نشــرتها الجويّــة و بوصلتها في الكون. فعذرنا انقطاعها عنّا نحن الصديقات.
كانت تعيش حبًّا نحسدها عليه سرًا. ثمّ ذات صدمة بدأ عذابها.
واذ بها تمضي نحو جحيم لا نستطيع فيه شيئًا من أجلها.
راحــت تمــوت أمامنــا، لأن الــذي وضــعت خصــاله فــوق الرجولة. وعواطفه فوق الحبّ نفسه. و بايعته نبيًّا.. غدر بها.
دون مقــدمات. دون شــروح أو توضــيحات. توقّــف هاتفــه عــن النبض بنوايا إجراميّة معلنة لاغتيالها صمتًا.

أشـــهر و هـــي معلّقـــة إلـــى مصـــل هـــاتف خـــارج الخدمـــة، صـــاحبه يعيش في بلاد أخرى.
لـــم تكـــن فـــي منتصـــف عمـــر الحـــبّ. كانـــت علـــى مشـــارف " أســـطورة حـــبّ ". ترتـــدي بغبـــاء أنثـــى قمـــيص الانتظـــار ولا تريـــد أن يفـــكّ أزراره ســـواه، الإغـــداق بالنصـــائح لا جـــدوى منـــه في هذه الحالة فهي واثقة من عودته.
دليلهـــا ذكريـــات و " ميســـاجات " و وعـــود و لا تريـــد أكثـــر مـــن أن يؤكّد لها أحد هذا !
فـــي البـــدء كنـــت أطمئنهـــا إلـــى أوهامهـــا، حتـــى لا أزيـــد مـــن ألمهـــا. فقـــد كانـــت تســـرد علـــيّ قصـــتها كأســـطورة عشـــقيّة بتفاصـــيلها المذهلـــة جمالًـــا. فكـــلّ عاشـــق يحتـــاج إلـــى صـــنع خرافتـــه الشخصـــيّة. لكن قصتها كانت في تفاصيلها حقًّا أقرب للخرافة.
حـــين زرتهـــا أرتنـــي الكـــمّ المـــذهل مـــن البطاقـــات الهاتفيّـــة التـــي تحـــدّث بهـــا إليهـــا خـــلال أربـــع ســـنوات. كـــلّ بطاقـــة تغطّـــي ثـــلاث ســـاعات مـــن الكـــلام. و بإمكـــان عشـــرات البطاقـــات التـــي تحـــتفظ بهـــا أن تغطّـــي لـــو وضـــعت الواحـــدة بجـــوار الأخـــرى المســـافة الفاصلة بين لندن و بيروت.
ليس ثمّة شك لقد أحبّها هذا الرجل. حقًّا.
ســـعدت باســـتنتاجي كأنّهـــا كانـــت تحتـــاج رأيـــي كـــي تتأكّـــد أنّهـــا لـــم تحلـــم ولا هـــي توهّمـــت. دبّ فيهـــا الحمـــاس. فتحـــت هاتفهـــا تقـــرأ عليّ رسائله التي تعود إلى الزمن الأوّل:
" أحبّـــك كـــلّ حـــين حتـــى و أنـــا نـــائم "
" كلّما نسيتني استيقظت حتى و أنا في نومي "
" أن تختفي ثانية يعني أن أموت إيّاك أن تختفي "

" أحتـــــــاج صـــــــــوتك كـــــــي أرى "

أسألها:

- أيكون مات لا قدّر الله ؟

تردّ بإحراج:

- لا.. رقمه يدقّ!
- ربما أصيب من غير شرّ بالعمى ؟

تجيب باستحياء:

- لا هو دائم التواجد على الإنترنت.
- و منذ متى لم يستيقظ من سباته الشتويّ و يهاتفك ؟

تمتمت:

- آخــر مــرّة كلّمنـــي كانــت فــي 6 حزيــران عنــد الســاعة الرابعــة عصرًا...
- أوتعتقــدين أنّــه يحفــظ اليــوم و الســاعة التـــي كلّمــك فيهــا لآخــر مرة منذ سبعة أشهر ؟

ترتبك:

- لا أدري..
- لـــو هاتفـــك اســـأليه مباشـــرة قبـــل أيّ ســـلام أو كـــلام متـــى بالضـــبط تحـــدّثنا معـــا لآخـــر مـــرة ؟ و فـــي أيّ يـــوم مـــن أيّ شـــهر كـــان لقاؤنـــا الأخيـــر ؟ إن تهـــرّب مـــن الإجابـــة أو أخطـــأ فـــي تحديـــد التـــاريخ.. اقطعـــي مباشـــرة المكالمـــة ولا تـــردّي على هاتفه ما حييت.

الحـــبّ لا يقـــاس بعـــدد الســـاعات التـــي كلّمـــك فيهـــا بالبطاقـــات الهاتفيّـــة. بـــل بـــالزمن الـــذي فـــي انتظـــاره كنـــت تحســـبين

أشـــهره و أســـابيعه و أيامـــه بالســـاعات. وحـــده الوفـــاء يملـــك عدّادًا دقيقًا للوقت. إنّه النخاع الشوكي للذاكرة.

كما توقّعت، راحت تدافع عنه كما تدافع ضحيّة عن جلادها.

- ربمـــا كـــان هـــو أيضًـــا يحســـب الوقـــت كمـــا أحســـبه أنـــا. يحـــدث للعشّـــاق أن يختلفـــوا و يعيشـــوا قطيعـــة قصـــيرة أو طويلـــة لكنّهم لا ينسون و لا يخونون. مثله لا ينسى.
- إن لـــم يخنـــك فقـــد خـــان اللّهفـــة. إنّ رجلًـــا اســـتطاع أن يعـــيش ســـبعة أشـــهر كنـــت خلالهـــا خـــارج مفكرّتـــه يعنـــي أنّـــك مـــا عـــدت ضـــمن اهتماماتـــه، عليـــك أن تضـــعيه بـــدورك خـــارج حياتك.

بـــدت متـــردّدة و غيـــر مصـــدّقة أنّـــه نســـيها حقًّـــا. أمـــام صـــمتها المتعـــاطف معـــه أخـــذت ورقـــة، و رحـــت أحســـب لهـــا علـــى الـــورق ما أراه شخصيًّا خيانة.

عزيزتـــي.. لقـــد نـــام هـــذا الرجـــل و اســـتيقظ خـــلال ســـبعة أشـــهر (عـــدا قيلولتـــه اليوميّـــة) مئتـــيّ و عشـــرة مـــرات، لـــم يشـــعر خلالهـــا لا ليلًـــا و لا صـــباحًا لا عنـــد غفوتـــه و لا عنـــد اســـتيقاظه بحاجـــة عاشـــق لســـماع صـــوتك.

و تنـــاول خـــلال هـــذه المـــدّة ثـــلاث وجبـــات فـــي اليـــوم أيّ ســـتمئة و ثلاثـــين وجبـــة بالتمـــام و الكمـــال مـــن دون أن يشـــعر أنّ غـــذاءً روحيًّـــا ينقصـــه و أنّـــه يحتـــاج أن يقتـــات بـــك ليحيـــا. و مـــرّ بـــه أثنـــاء ذلـــك صـــيف و خريـــف و شـــتاء فـــلا فصـــل هزمـــه بحرّه و لا بثلجه فعاد ليستعين بك عليه.

دبّ فيها حماس مفاجئ.. قالت:

- بلى، لقد ردّ على معايدتي برسالة قال فيها " لا أستعين بغيرك على النساء و البرد ".
- و منذ متى لم تلتقيا؟
- منذ 20 يناير الماضي...
- أو تعتقدين أنّ رجلًا لم تلتق به منذ أحد عشر شهرًا قد التحق بالدير في غيابك و أصبح راهبًا يستعين بذكراك على النساء و البرد اللندنيّ. و أنّه منذ ذلك الحين معلّق على جدار كصورة لا امرأة عبرت أو مرّت بحياته. لا امرأة جلست إلى طاولته أو تمدّدت على سريره أو تركت صوتها على هاتفه.. أو قاسمته على الإنترنت صباحات الضجر و ليالي السهر في مدن الصقيع.

اجلسي إلى نفسك و واجهيها بهذا السؤال:

لو قلت لك أنّني أثق في وفاء رجل يرفض الردّ على مكالماتي منذ سبعة أشهر و لم ألتق به منذ سنة.. أما كنت أشفقت عليّ من سذاجتي !

دمعت عيناها و لم تقل شيئًا.

مزيج من الكبرياء و الغباء يجعلانها ترفض تصديق احتمال خيانة من تحبّ. فنحن نحكم على وفاء من نحبّ بقدر منسوب وفائنا.

ثمّ إنّ اعترافها بأنّ تلك القصة " الأسطوريّة " انتهت هو اعتراف ضمني بهدرها أربع سنوات من عمرها أيّ: **<u>من أجل لا شيء.</u>**

48 شهرًا...
1460 يومًا..
35040 ساعةً...
2.102.400 دقيقةً. من أجل لا شيئ
يـا الله! أكثـر مـن مليـوني دقيقـة لـم تبـق منهـا دقيقـة واحـدة لقـول كلمة واحدة تعيد للحبّ الحياة !
أي حـبّ هـذا الـذي يجرفـك طوفانـه حـين يجـيء. و يقتلـك ظمـأً حـين يـذهب. فـلا يملـك مـن أجلـك قطـرة وفـاء للماضـي تبـرّر هـذا الهدر و إثم نزيف الزمن السائب في عمر امرأة.
تركـت لهـا علـى ورقـة جـردة بأرقـام خسـاراتها فـي بورصـة الحبّ. عساها تتعلّم ألّا تستثمر في المشاريع الوهميّة.
فـأربع سـنوات فـي حيـاة امـرأة أربعينيّـة هـي ثـروة زمنيّـة أغلـى من أن تستعاد.
صـديقتي هـذه نمـوذج لآلاف النسـاء العربيّـات اللائـي يقـدّمن سـنوات مـن عمـرهنّ قربانًـا لرجـل لـم يقـدّم لهـنّ سـوى الوعـود. و يـرين الحـبّ ارتهانًـا لشـخص لـيس بالضـرورة رهينـة لهـن بـل لمزاجه و أفكاره المسبقة و عقده و تطلعاته الشخصيّة.
رجـل كـالزواحف يـتخلّص مـن جلـده و مـن ماضـيه دون عنـاء. و وحـدها المـرأة تعـيش مزدحمـة بكراكيـب الـذاكرة. تحفـظ التـواريخ عـن ظهـر قلـب. و تحـتفظ بالرسـائل الهاتفيّـة كمـا لـو كانـت سـندات ملكيّـة. و تعيـد استنسـاخ " الرسـائل الهاتفيّـة " فـي دفـاتر خاصّـة بـدقائقها و ثوانيهـا كـي تسـتعيد الـزمن العشـقيّ و تبـاهي بـه أمـام نفسـها وأمـام الحـبّ. لكأنّهـا كانـت تـدري أنّهـا

ذات يوم لن تملك إلّا ما وثّقت من تفاصيل دليلًا على أنّه حقًا مرّ بحياتها .

يا للغباء. صحت بها :

- هذا الحبّ يتناقص كلّ يوم، و عمرك أيضًا. إنّ حبًّا مفقودًا أفضل من حبّ منقوص. اخلعي عنك حداد هذا الرجل. و خذي قرارًا بينك و بين نفسك بإنهاء هذه العلاقة. فأيًّا كان ثمن إنهائها لن يكون أكثر من شقاء بقائك هكذا " شردودة لا مطلّقة و لا مردودة " حسب قول أمي.

ثمّ إن لم تحسمي هذا الأمر اعلمي أنّك ستخسرينني فما عاد مزاجي يتقبّل استكانة امرأة و استعدادها للتضحيات الغبيّة.

في الغد هاتفتني على غير عادتها عند الساعة التاسعة صباحًا. كنت ما أزال نائمة، فأنا أسهر طويلًا للكتابة.

قالت:

- أهاتفك لأقول لك أنّني عملت بنصيحتك. أخذت ليلًا قرارًا بأن أنساه و أردت أن تعرفي بذلك.
- أما كان بإمكانك أن تزفّي لي هذا الخبر لاحقًا؟!

ردّت ضاحكة:

- في الواقع ما زلت أستيقظ عند الساعة إيّاها التي اعتاد أن يهاتفني فيها لسنوات.
- ما دمت لم تكسري داخلك الساعة البيولوجيّة لحبّه فلن يغادرك هذا الرجل. كأنّك تهاتفينني الآن لتقولي لي عكس ما تودّين قوله !

ردّت على استحياء:

- أعترف ما استطعت أن أشفى من هاتف التاسعة صباحًا.. أو بالأحرى السابعة بتوقيت لندن..
- ما دام هو قد شفي بإمكانك أيضًا أن تشفين. لا تدعي الساعة تتحكّم فيك.. لست كلب " بافلوف ". اكسري هذه العادة بعادة أخرى.. كلّمي أحدًا آخر !
- ليس في حياتي أحد.
- لا أصدّق أنّ امرأةً مثلك ليس حولها أحد.
- لا و الله..

جلستُ في سريري و قد راودتني فكرة.

قلت:

- ما رأيك أن أهاتفك أنا كلّ صباح عند التاسعة ؟

صاحت بطفولة:

- وااااو... إنّها فكرة جميلة.. لا أصدّق أنّك ستستيقظين من أجلي !
- ليس من أجلك من أجل النسيان. لنتفّق أوّلًا.. هاتفي لن يكون هاتف الحبّ.. سيكون هاتف النسيان. كلّ يوم سأقول لك عما فعله الرجال بنساء أخريات ما يجعلك تكرهين هذا الرجل.
- لكنّني لا أريد أن أكرهه.. أريد فقط أن أنساه.
- برغم ذلك ستكرهينه.

صمتت كأنّها أمام خيار ما توقّعته.

قلت:

- قرّري أتودين أن أهاتفك بتوقيته أم لا؟

لعلّها كانت تحتاج أن يدقّ هاتفها أخيرًا في ذلك التوقيت، أكثر من حاجتها إلى سماعي. ثمّ كان لديها أمل أن نأتي على ذكره. لكنّني ما كنت من الحماقة لأهاتفها كي أقع في فخ ذكرياتها بدل أن أنسيها إيّاه.

ردّت:

- يسعدني حقًّا أن تهاتفيني.. تدرين أحبّ هذا التواطؤ النسائي..

قلت مازحة:

- أنت لا تدرين ماذا فعلت قبل عشرين سنة في باريس لإنقاذ شغّالتي من بين فكيّ رجل!

صاحت بحماس:

- احكي لي شو عملت..

قلت:

- ستستمعين إلى تلك القصة غدًا.. سأروي لك كلّ يوم قصّة مع الفرق أنّ قصّتي تحكى في النهار لا في الليل.. و أنّني لا أريد بها إنقاذ رأسي من شهريار.. بل الإطاحة بشهريار المعشّش في رأسك.

من يومها كلّ صباح يدقّ " هاتف النسيان " في بيت صديقتي عند الساعة التاسعة.

فأحكي لها بكلّ الكلام المباح عن عمرها المستباح باسم الحبّ!

شغّالتي العاشقة.. و وصفتي السحرية

فقلت لها أكحل و افتــراقُ   كأنـــّــك لم يروّعك البعادُ ؟

فقالت: كي تحوّله دموعي   فيغدو و هو في خدّي حدادُ

تميم الفاطمي

في الأسبوع الثاني للنسيان. لم أجد لإنقاذ صديقتي الغبيّة من حنينها لجلّادها سوى أن أعرض عليها وصفة قديمة للشفاء من حبيب (أظنّني أملك براءة اختراعها) ابتكرتها قبل عشرين سنة في باريس عندما وجدت نفسي أمام فتاة جاهزة للانتحار بسبب قسوة رجل.

" الحاجة أمّ الاختراع " و كانت الفتاة فعلًا بحاجة إلى سند عاطفي كي لا تنهار. قلت لأجرّب فيها الوصفة. فقد كنت أجرب فيها أيضًا مسودّات " ذاكرة الجسد " عندما تنتهي من الأشغال المنزليّة و أسألها كيف تجد القصّة و الحوارات. و تناقشني المسكينة على قدر ثقافتها.. و على قدر عقلي.. فمن الواضح أنّني ما كنت سويّة. و الآن و أنا أكتب يحضرني قول نزار في ما كتبه عن " ذاكرة الجسد " حين

يقـول للغـالي الـدكتور سـهيل إدريـس رحمـه الله " دعهـا تجـنّ فـإنّ الأعمال الإبداعيّة الكبرى لا يكتبها إلّا مجانين ".

سـبحان الله.. مـن أيـن لـه هـذه النبـوءة.. و مـا قـدمت لـه يومًـا برهانًا على جنوني !

كانـت فتـاة مغربيّـة رسـبت فـي البكالوريـا. لا تملـك أيّـة جاذبيّـة. جـاءتني بضـفائر قرويّـة و ملامـح جبليّـة. كانـت تقـيم عنـد قريبتهـا و تـأتي يوميًّـا لمسـاعدتي لبضـع سـاعات فـي أشـغال البيـت و للاهتمام بالأولاد.

ذات يـوم وقعـت البنـت فـي حـبّ رجـل سـوري لا أدري أيـن صـادفته. كـان يعمـل أسـتاذًا فـي سـوريا و أصـبح يعمـل طرّاشًـا فـي بـاريس. كـان الرجـل يملـك وسـامة مشـرقيّة تبـاهي بهـا. فقـد كانـت تحمـل صـورته أينمـا حلّـت. تـدريجيًّا فقـدت البنـت صـوابها. جنّـت بـه حبًّـا و غيـرة. لكـنّ الرجـل لـم يفقـد عقلـه كـان فقط يتسلّى. "رجّال و استحلى" كما يقول اللبنانيّون.

وجـدت نفسـي متورّطـة فـي قصّـتها فقـد كانـت تطلـب منّـي أن أكتـب رسـائل حـبّ نيابـة عنهـا (بعـد أن اكتشـفت مـوهبتي الأدبيّـة !) بينمـا اكتشـف الرجـل لاحقًـا عنـدما أرتـه مقـالاتي و صـوري فـي المجـلات أنّهـا تعمـل عنـد كاتبـة و أنّ الرسـائل المكتوبـة إليـه أجمـل مـن سـاعية البريـد ! (و القصّـة تسـتحقّ رواية !)

ذات يـوم قـرّر التخلـي عنهـا بـرغم جهـدي فـي تجميلهـا و قـصّ ضـفائرها و إهـدائها أجمـل ثيـابي. حتـى أقسـمت أمـي أنّهـا سـحرتني. و إلّـا كيـف أعفيهـا مـن الاهتمـام بأطفـالي الثلاثـة و أكـرّس وقتـي لخـدمتها و كنـت أردّ أنّهـا لـو كانـت تعـرف

السحر لسحرت ذلك الرجل أوّلًا ! ذلك أنّ حالتها أصبحت بائسة و مشفقة حدّ تركي " ذاكرة الجسد " جانبًا. و الانهماك في " كتابة " حياتها العاطفيّة.
كلّما هاتَفَتْه كان يقطع الهاتف في وجهها. و إن دقّت بابه رمى عند الباب بأشيائها حتى بدأت تراودها فكرة الانتحار لمقاصصته بموتها. أو إلحاق أيّ أذى به. فقد كانت البنت بربريّة من الأطلس المغربي.. و تحبّ لأوّل مرة بوفاء و أنفة و شراسة. أيّ مدججة بكوكتيل من العواطف القابلة للانفجار و الدمار !
وصلت معها إلى اتفاقيّة أن تهاتفني كلّما شعرت برغبة في مهاتفته، فأشتمه لها، و ألعن أبوه و أصيح بها " كيف تسمحين لطرّاش أن يفعل بك هذا ؟ من يكون ليقطع الهاتف في وجهك ؟ إنّ دخلك أكبر من دخله. و أصلك أشرف من أصله.. لو كانت له أخلاق لما تصرّف هكذا مع فتاة.. ثمّ أنت التي نفختيه و طلبت منّي أن أكتب له رسائل ما كتبتها جورج صاند لشوبان فراح يظن نفسه فهد بلان (كان المطرب السوري الراحل رمز الرجولة آنذاك).
أهمليه.. دعيه هو يتعذّب و يسأل عنك. ثمّ إنّه موسم التنزيلات. اذهبي إلى ذاك المحل الذي أشتري منه ثيابًا بجانب مدرسة الأولاد. و اشتري ثيابًا جميلة.. حتى إذا رآك المرة القادمة يأكل أصابعه ندامة لأنّه تركك !
طبعًا على الأرجح أنّ الرجل كان منهمكًا في " أكل " ضحيّة جديدة. لكنّني كنت أقول لها أيّ شيء يقوّي من عزيمتها كي تصمد و تنساه.

و حين كانت تزورني بعد ذلك في كلّ أناقتها و يصادف وجود أمي كانت أمي تعايرني طوال السهرة بسببها.

- شفت مرا تبعث خديمتها إلى نفس المحل اللي تشري منو ثيابها.. واش يقولوا الناس ؟
- إحنا في فرانسا يا أمي حتى واحد ما على بالو بيك واش لابسة. و هذي البنت مسكينة كانت رايحة تقتل روحها !
- هذي تقتل روحها ؟ تصيح أمي أنت اللي تقتلي روحك. ذرك تشوفي واش راح يخرج منها " المعلّمة " متاعك !

كانت أمّي تصرّ على أنّي مسحورة و أعمل بدوام كامل " صانعة " عند خادمتي. أمّا زوجي فما كان ليصدّق هذه الهواتف التي أقول أنّها من الشغالة.. فقد كانت تهاتفني من أيّ كابينة تلفون تمرّ بها لتخبرني بمستجدّات قصّتها و لا أستطيع الاتصال بها لاحقًا لأنّ الجوّال لم يكن قد اخترع بعد. فأقضي ما تسع بطاقتها من وقت في الشتم حينًا و الوشوشة حينًا. أتساءل الآن إن كنت يومها في كلّ قواي العقليّة، كيف لامرأة لها ثلاث صبيان أصغرهم عمره سنتين أن تضيف إلى واجبات أمومتها دور الأم تريزا.

ذلك أنّني لا أستطيع إلّا إنقاذ المهاجرات غير الشرعيّات في مراكب الحبّ. عندما يغرّر بهنّ أحدهم و يبعث بهنّ في مركب غير آمن للهجرة نحو أرض العشق الموعودة. ثمّ ينساهن في عرض البحر.

قضيت عمري في انتشال الإناث الغبيّات من قصص الحبّ المغرقة. و ما زلت في هذا الكتاب لا أفعل إلّا هذا.

و هكـــذا طلبـــت مـــن تلـــك الصـــديقة أن تهـــاتفني كلّمـــا راودهـــا الحنـــين إلـــى مهاتفتـــه. فـــأقول لهـــا عـــن الرجـــال مـــا يشـــفيها و ينســـيها و أعايره لها كما لو كنت أمي !

الاستيقاظ الموجع من الخدر العشقي

لا توقظـــو المـــرأة التـــي تحـــب .. دعوهـــا فـــي أحلامهـــا حتـــى لا تبكي عندما تعود الى الواقع المر .

مارك توين

صباح الخير.. إنّها التاسعة بتوقيت النسيان.
انتهى سباتك الشتوي عزيزتي.
قـــومي مـــن تحـــت الـــردم ..قـــومي مـــن حزنـــك قـــومي . افتحـــي نوافـــذ الحيـــاة و إلّـــا دخـــل الصـــقيع إلـــى قلبـــك و بقـــي هنـــاك. كنـــت غزالـــة و أصـــبحت مـــن دببـــة القطـــب الشـــمالي تنـــامين ســـبعة أشـــهر. بأيّـــة حقنـــة تـــمّ تخـــديرك؟ بالشـــغف ؟ بـــالولع ؟ الولـــه ؟ الهيـــام ؟ الغـــرام ؟ الصبابة ؟
تـــدرين كـــم للحـــبّ مـــن اســـم ؟ تســـعون اســـمًا حســـب مراتـــب العشـــق و جنونـــه. ســـتعرفين مـــن مـــدّة غيبوبتـــك، فـــي أيّـــة درجـــة مـــن العشـــق كنـــت حـــين خلـــدت إلـــى النـــوم علـــى تلـــك الغيمـــة القطنيّـــة البيضاء متوسّدة أحلامك.
مـــا توقّعتهـــا ســـتمطر و ترمـــي بـــك أرضًـــا مـــن العلـــوّ الشـــاهق للأوهـــام. لـــذا مـــا أخـــذت معـــك كمـــا المظليّـــين مـــا يضـــمن نزولـــك بســـلامة. فالســـقوط المفـــاجئ مـــا كـــان ضـــمن حســـاباتك و الآن قلبـــك لا يتوقـــف عـــن الإصـــغاء لصـــوت مـــا تهشّـــم داخلـــك مـــن أشياء سيصعب عليك ترميمها.

لا تـــدعي منظـــر الخـــراب يشـــوّه مزاجـــك. و يشـــلّ قـــدرتك علـــى الوقـــوف." نقـــع ســـبع مـــرات و نقـــوم ثمانيـــة " يقـــول اليابـــانيون. قـــومي. مـــا ينتظـــرك أجمـــل ممـــا يحـــيط بـــك. اشـــتري أحذيـــة لأحلامك و ستصبح كلّ الطرقات إلى الفرح سالكة.
سدًى تنتظرين.
لا الحـــبّ يســـتطيع مـــن أجلـــك شـــيئًا و لا النســـيان. لا زوارق فـــي الأفق.. غادري مرفأ الانتظار.
هو لن يعود طالما أنت في انتظاره.
أنـــت لـــن تكســـبيه إلّـــا بفقدانـــه لـــك. و لـــن تحـــافظي عليـــه إلّـــا بحرمانـــه منك.
ثمّـــة رجـــال لا تكســـبينهم إلّـــا بالخســـارة. عنـــدما ستنســـينه حقًّـــا، سيتذكّرك. ذلك أنّنا لا ننسى خساراتنا !

لا تطلبي اللّجوء العاطفي إلى السرير
فهو سيسلّمك.. إلى عدوّك

و إنّي لأهوى النوم في غير حينه   لعلّ لقاءً في المنام يكون

قيس لبنى

صباح الخير.. هذا أنا.
لقد أصبحت أستيقظ قبلك لأنّ لي موعدًا معك. و تبقين في السرير.. لأنّ لك موعدًا معه.
السرير ليس مكانًا آمنا لامرأة تنشد النسيان. فلا تطلبي اللجوء العاطفي إليه. سيسلّمك إلى " عدوّك الحبيب " كما سلّم حسن الترابي كارلوس إلى فرنسا. و كما تسلّم الأنظمة العربيّة كلّ معارض يلجأ إليها و يأتمنها على حياته.
السرير كمين يقع فيه القلب النازف شوقًا. المطعون عشقًا. اعتقادًا منه أنّه ملاذ آمن لفرط حميميّته.
في الواقع، لا أخطر من حميميّته هذه عليك. أنت فيه مطوّقة بنفسك. حدودك الإقليميّة أنت، من كلّ صوب تحدّك الذكريات

و المواجع و الماضي. أنت طريدة ذاكرة تعتقدين الهروب منها إلى السرير.

لكنّها ستفترسك فيه لأنّك هناك لا لتنسي من تحبّين بل لتستعيديه.. لتنفردي به.. لتبكيه.

حتى النوم سيغدر بك. فحسب آخر الأبحاث العلميّة، إحدى مهام النوم حماية الذاكرة. فالنوم يساعد الدماغ على تخزين كلّ ما يعتقد المرء أنّه نسيه خلال النهار. و هكذا يصبح النوم وسيلة يستردّ بها الدماغ.. الذكريات.

لذا قد يستيقظ البعض و وسادته مبلّلة بدموعه. لقد بكى أثناء نومه. جرحه ظلّ مستيقظًا. أيّ أنّ النوم نفسه ما عاد فرصة للنسيان يقول العلماء . " البشر ليسوا حقيقيين الا في اللحظة التي يكونون فيها في أسرتهم وحدهم "

أخطر مكان عليك السرير. إنّه يغذّي حزنك و يوقظ مواجعك. و يخدعك بإيهامك أنّك تلتقين فيه الرجل الذي ما عاد من مجال للالتقاء به في الحياة. لهذا سمي السرير مخدع !

غادري مخدعك حال استيقاظك أتمنّى أن أجدك غدًا أمام فنجان قهوة تحتسينها على شرفة أحلامك. اجلسي إلى نفسك كلّ صباح أمام الطبيعة بدل أن تجلسي إلى ذاكرتك في سرير." بنظرة خاطفة ذكريات كثيرة تستلقي على سريري تقول عناية جابر"

هل رأيت رجلًا يلازم السرير حدادًا على امرأة ؟

إنّه يقصد السرير " رفقة لوازم نسيانه ". يستعين بامرأة على نسيان أخرى. في هذا سرّ شفائه.فالجنس عنده وصفة دواء يسهل تناوله بعد كل خيبة عاطفية.

مـــا دمـــت عـــاجزة عـــن الخيانـــة. أضـــعف الإيمـــان أن تغـــادري السرير حتى لا يكون فضاء متعته .. هو فضاء شقائك !

***

" الجنس مجرد إرضاء للنفس عندما لا يحصل الواحد منا على الحبّ "

غارسيا ماركيز

أيّتها الحمقاء.. الحياة تنتظرك و أنت تنتظرينه !

فإذا صحوتُ فأنت أوّل خاطري و إذا غفا جفني فأنت الآخر

صباحك نسيان..
صدقًا، ألست أفضل هذا الصباح؟ أشهر و أنت تنامين ظهرًا لظهر مع جسدك المستلقي إلى جوارك. مع الوقت أصبحت جارة جسدك، جارة حياتك لا صاحبتها. تعيشين حياة مؤجلة إلى حين يعود.
هكذا هي المرأة العربية.. تؤجل فرحتها في انتظار السعادة. الحياة موجودة من أجلك.. بعطورها و ورودها و فصولها.. و مصادفاتها.
الحياة تنتظرك و أنت تنتظرينه. السعادة تشتهيك و أنت تشتهينه. الحبّ يحبّك و أنت تحبينه. لأنّه ألمك.
كقطّ يتوق إلى خانقه تريدينه.
عندما يتجاوز الخذلان حدّه، و ينفذ مخزون الصبر النسائي على سعته، عليك أن تراجعي علاقتك بالألم. فالألم ليس قدرًا. إنّه اختيار.
عام من الألم يكفي و يزيد. إنّه معدل الزمن الأنثوي المهدور الذي تحتاجه امرأة للشفاء من رجل تفشى فيها داؤه. الوعكة

العاطفيّـــة تأخـــذ وقتًـــا أقـــلّ. فثمّـــة " حـــبّ " تلتقطـــه النســـاء مثـــل الانفلونزا في شتاء القلب.
مثـل هـذا " الحــبّ " مــا كــان مقـدّرًا لــه أصــلًا أن يعــيش أكثــر مــن فصــل و الحــزن عليــه لا يســتحقّ أكثــر مــن أيــام. لكــن ألــم الفــراق الكبيــر لا بــدّ ألا يــدوم أكثــر مــن ســنة. بعــدها يصــبح الأمــر ضــربًا مــن الانتحــار. فهــل أنــت واثقــة أنّ علــى الطــرف الآخــر ثمّــة عاشــق ولهــان قــادم مــن العصــور الغــابرة.. يبكيــك و يخلــص لغيابك ؟
كفى بربك حماقة !

بالروح.. بالدم.. نفديك يا نسيان!

أسقي الزهور في غيابك

و لكنّها.. ترفض أن تنمو

غازي القصيبي

صباحك ورد..

يسعدني أن أراك تبدئين نهارك بالاعتناء بنباتات حديقتك.

لكن حذاري أن تتحرّشي بشجرة الذكريات. أن تسقيها في كلّ مناسبة بالحنين و الانتظار.. ثمّ تتعجبي ألّا يعطي النسيان وردًا.

لا يطرح النسيان وردًا في الموسم الأوّل. يحتاج إلى فصلين أو ثلاثة قبل أن يزهر. في البدء يهديك شوكه. لا تكوني على عجل و لا تقلقي. سيجيء فصل القطاف. فللحبّ رزنامة لا علاقة لها بمنطق الفصول.

ليس ثمّة نسيان جميل أو سريع. لا أحد بإمكانه أن يهديك النسيان قبل وقته. أو يبيعك إيّاه قبل أن يتفتّح على أغصانه.

عليك أن تقتنيه بألمك و أرقك و دموعك.

هذه هي العملة الوحيدة التي تتعامل بها الأحاسيس في مواجهة الفقدان.

ثمّ تذكّري نحن لا ننسى الا حين نريد ذلك حقا كوني صادقة في إصرارك على النسيان.
ينجح الرجال في النسيان لأنّهم يريدونه حقًّا (لبدء علاقة جديدة) و تفشل النساء لأنّهن يخفنه (لخوفهن من الإقدام على تجربة جديدة). على أساس " ذاكرة في اليد.. خير من نسيان على الشجرة " فالمرأة تخاف أن يطير مع النسيان آخر عصفور أمسكت به.
كلّما أحبّت، توقّعت ألّا تهديها الحياة حبًّا بعد ذلك الحبّ. من هنا جاء هوسها بكلمة " إلى الأبد " التي يطمئنها بها الرجل إلى حين يطير.. إلى الأبد.
على النساء أن يشفين من خوفهن الأنثوي من المجهول. فليس الرجال أقلّ منّا خوفًا. و لا أكثر طمأنينة لما ينتظرهم. هم فقط أكثر خيانة و تنصلًا من وعودهم.
فليكن. انتهى زمان " أنساك ده كلام \ أنساك يا سلام \ أهو ده اللي مش ممكن أبدًا \ و لا أفكر فيه أبدًا ".
بربكنّ، ألا يبدو هذا الكلام سخيفًا عندما تقرؤونه هكذا عارٍ من صوت أمّ كلثوم الذي لجماله بإمكانه إقناعنا بأيّ شيء.
كان بإمكاننا أن نصدّقه و نموت من أجله. و نخرج في مظاهرات نسائيّة حاشدة تندّد بالنسيان كأحد أوجه الإمبريالية. و نتهمه بالمشاركة في المؤامرة الكبرى على المستقبل العاطفي للأمة العربيّة، لو أنّنا رأينا الرجال يهتفون، كما يهتفون للزعماء " بالروح بالدم نفديك يا وفاء ".
الذي حدث أنّهم أقنعونا منذ عصور أنّ النسيان ممكن جدًا. و لا نريد سوى إشعارهم بأن النسيان ليس حكرًا عليهم.

الباب الموارب للقفص

" الحبّ كطائر في قفص. أتركي له الباب مفتوحًا إن عاد فقد كان دائمًا لك و إن لم يعد فهو ما كان لك يومًا "

رحت أهاتفها في صباحات الألم لأنقذها من سياط الذكرى.
كمن يعطي الحبّ رغيف خبز بدل أن يدعوه إلى العشاء.
كنت أدري أن كلماتي ما كانت تشبعها تمامًا. لكن تمنحها قوت يومها من الصبر. و تغذّيها بفيتامين الصمود.
يومًا بعد يوم بدت كأنّها تتعافى من الماضي.. أو لعلّها كانت تحاول إقناعي بذلك. لكن لا شيء ملموسًا كان قد تغيّر حقًّا في حياتها. قلّما كانت تقبل تلبية دعوات أو حضور مناسبات.
كانت تعيش حدادها بجمالية و عزلة. لكن بطمأنينة أكبر.
كنت أصيح بها يائسة " من أين يأتي الحبّ إن لم تفتحي له الباب ". و كانت ترد " بل تركت له الباب مفتوحًا ".
لاحقًا أدركت أنّنا ما كنّا نحكي عن الأبواب نفسها. كنت أحكي عن باب الحياة.. و كانت تقصد باب القفص !
[أن تتركي باب القفص مفتوحًا طمعًا في عودة الطائر.
أيّ أن تغلقي كلّ باب عداه. دون أن تعترفي بذلك لأحد.
أن تؤجّلي سعادة في يدك.. من أجل سعادة على الشجرة.
أن تختاري خسارة الحاضر كي لا تخسري احتمال حلم.
عليك كلّ يوم ألّا تنسي تمامًا و لا تتذكري تمامًا. ألّا تهجري.. و ألّا تعودي. ألّا تهاتفيه و أن تواصلي سماع صوته فيك يقول لك بكلمات الماضي أنّه سيعود.. ألّا تكوني مبتهجة فلا تكوني أهلًا لقصّة حبّك. و لا تحزني فتصبحي موضوعًا للشفقة.

أن تعثـــري علـــى المســـافة اللازمـــة بينـــك و بينـــه فـــي الغيـــاب.. بينـــك و بـــين الآخـــرين.. بينـــك و بـــين الـــذكريات.. بينـــك و بـــين مـــن يحـــاول أن يأتيـــك مـــن بـــاب آخـــر - غيـــر بـــاب القفـــص - ليشـــغل محلّـــه الشـــاغر. ألّـــا تخـــوني مـــن يكـــون قـــد خانـــك. و لا تتـــألّمي بوفائـــك لـــه. أن تخلصـــي لأســـطورتك لا لبطلهـــا. فالحـــبّ هـــو البطل.. لا ذلك الرجل !

أمـــام فنجـــان قهـــوة قلـــت لهـــا " أن تتركـــي بـــاب القفـــص مفتوحـًـا أيّ أن تطلقـــي ســـراح طـــائر الحـــبّ و تـــدخلي القفـــص لتقيمـــي مكانـــه. قـــرار عليـــك أن تأخذيـــه وحـــدك و أنـــت فـــي كـــلّ قـــواك العقليـــة و حســـاباتك العاطفيـــة. فوحـــدك تعـــرفين أيّ طـــائر هـــذا الـــذي تنتظـــرين. أهـــو طـــائر نبيـــل أم عصـــفور مـــن أســـراب العصـــافير المهـــاجرة العـــابرة. تلـــك التـــي تنقـــر الحـــبّ فـــي أيّ كـــفّ تُمـــدّ نحوهـــا. و تعـــيش علـــى فتافيـــت الموائـــد.. صـــدّقيني ليســـت كـــلّ قصة حبّ تستحقّ في أيامنا كلّ هذه التضحيات ".

بـــدت مقتنعـــة بكلامـــي. قـــال لســـانها " أنـــت علـــى حـــقّ. أنـــا جـــاهزة لوصفاتك " لا أدري ربما كان قلبها يقول آنذاك عكس ذلك .

***

لـــــــديّ كتـــــــاب صـــــــغير
أكتـــب فيـــه حـــين أنســـاك
كتـــاب ذو غـــلاف أســـود
لـــم أخـــط فيـــه كلمـــة بعـــد
فيرناندو بيسوا

نصائح بقطيع من الجمال

من حذّرك كمن بشّرك

الإمام علي

كما لم تحبّ امرأة...

وحدها التي ستأتي بعدي ستنصفني
و هي تفرغ جيوب قلبك
ستكتشف.. كم كنت ثريًّا بي

أدخلي الحبّ كبيرة. و أخرجي منه أميرة. لأنّك كما تدخلينه ستبقين.
ارتفعي حتى لا تطال أخرى قامتك العشقيّة.
في الحبّ لا تفرّطي في شيء. بل كوني مفرطة في كلّ شيء.
اذهبي في كلّ حالة إلى أقصاها. في التطرف تكمن قوتك و يخلد أثرك. إن اعتدلت أصبحت امرأة عاديّة يمكن نسيانها.. و استبدالها .

لا تحبّي... اعشقي
لا تنفقي... أغدقي
لا تصغري... ترفعي
لا تعقلي... افقدي عقلك
لا تقيمي في قلبه... بل تفشّي فيه
لا تتذوّقيه... بل التهميه
لا تشوّهي شيئًا فيه... جمّليه.
لا تكوني أمامه بل خلفه.
لا تكوني عذره بل غايته.

لا تكوني عشيقته بل زوجة قلبه.
لا تكوني ممحاته بل قلمه.
لا تكوني واقعه... ظلّي حلمه
لا تكوني دائمًا سعادته... كوني أحيانًا ألمه
لا تعدلي كوني في الأنوثة ظلمه
لا تَبكيه... أبكيه
لا تكوني متعته بل شهوته
كوني أرقه و أميرة نومه
لا تكوني سريره كوني وسادته
كوني بين النساء اسمه
ذكرياته و مشاريع غده
لا تكوني يده كوني بصمته
لا تكوني قلبه كوني قالبه
لا تغاري من ماضيه فأنت مستقبله
و لا من عائلته لأنّك قبيلته
لا تكوني ساعته كوني معصمه
و لا وقته بل زمنه
تقمّصي كلّ امرأة لها قرابة به
و كلّ أنثى يمكن أن يحتاج إليها
و كلّ شيء يمكن أن يلمسه
وكلّ حيوان أليف يداعبه
وكلّ ما تقع عليه عيناه
كوني ابنته و شغّالته و قطته
ومسبحته وصابون استحمامه و مناشفه

ومقود سيّارته وحزام أمانه
ومصعد بنايته
كوني مفاتيحه ومن يفتح بابه... حتى في الغياب
كوني عباءة بيته... سجاد صلاته
كوني أريكة جلوسه ومسند راحته وشاشته
كوني بيته
كوني المرأة التي لم ير قبلها امرأة
و لن تأتي بعدها امرأة... بل مجرد إناث !

نصيحة:

لا تعجبي إن تمرّد عليك برغم هذا و لا تحزني. الحبّ الكبير يخيف رجلًا ما عرف قبلك امرأة. إنّه ينسحب ليحمي رجولته من إغداق أنوثتك. و ليتداوى من تلاشيه فيك. لكنّني لا أعرف رجلًا شفي من سرطان الروح بتناوله " أسبرين " الكذب على الذات. لا أحد تعافى من حبّ كبير تقول التقارير العاطفيّة.
فلا تغاري و لا تهتمّي. ربما مع الوقت دخلت حياته " إناث الهاتف " أو " قطط النت ". ربما مرّت به ثياب نسائيّة و أحذية بكعب عال و قبل بأحمر شفاه. و صدور و عطور و كلمات.
و " ميساجات " ليست كالميساجات. و نشوة في مذاق " غزل البنات " تمّ إعدادها من السكر الصافي المذاب الذي يصنع منه الباعة حلوى كلحية بيضاء قطنيّة طيّبة المذاق.

لكــن لا شــيء يبقــى منهــا غيــر الــدبق.. إنّهــا تعلــق باليــدين والفــم و يحتاج المرء كلّما تناولها أن يغتسل.
هو لهن..
إن أحببتــه كمــا لــم تحــبّ امــرأة. لا تبكــي و لا تحزنــي. ليســعدن به. سعادتك أنّك قصاصه المستقبليّ.
كلّمــا تقــدّم بــه العمــر كبــرت بــذكراك خســاراته. ربمــا وجــد امــرأة تهديه نسيانك، لكن لن يعثر عن امرأة تهديه حبّك.

***

جــراري مليئــة بــدموع نســاء

أحببنــــــــــك قبلــــــــــي

لكنّنـــــــــي لا أبكـــــــــي

مشــغولة بمــلء ســلال الضّــحك

لامـــــرأة ستضـــحك بعـــدي

على كلّ ما كنت فيك أخاف عليه

أصمدي!

صبرت حتى يعلم الصبر أنّي　　　　صبرت على شيء أمرّ من الصبر

ثمّة متعة في الصمود حتى.. ألمًا.
قاومي شهوة الاستسلام لنداء الماضي. فوّتي على الحنين ما ينصبه لك من فخاخ. أصمدي كي تبقي كبيرة في عين نفسك.
الذي تخلّى عنك. أراد دهس كرامتك. فليكن، يبقى لك كبرياء النسيان. و زهو امتناعك عن الاتصال به أيًّا كانت المناسبة. ستمرّ كلّ المناسبات و كلّ الأعياد و " عيديّتك " أنّك أفسدت عليه عيده. ما دام قد أفسد عليك الحياة بين عيدين !
و أعرف صديقة أبدعت في الحالتين. كانت قد انفصلت عن الرجل الذي تحبّه قبل أشهر. فلم تطلبه في عيد ميلاده. رغم كونها تعرف تمامًا التاريخ بحكم السنوات التي احتفلت فيها به.
ثمّ في العام التالي هاتفته في المناسبة إيّاها. و لم يصدق أن تكون تذكّرته أخيرًا.
لكنّها عكرت عليه فرحته حين قالت ببراءة ماكرة " ما هاتفتك العام الماضي في عيد ميلادك لأنّني كنت ما زلت أحبّك و أقوم بجهد الامتناع عن الاتصال بك. لكن، و قد

انطفأت تلك الحرائق منذ ذلك الحين. أصبح بإمكاني اليوم أن أتمنّى لك من قلبي عيد ميلاد سعيد ".

ما كانت تتمنّاه حقًّا هو إيلامه بسلاح جديد لم يتوقّعه. تركته حزينًا يتحسّر على الزمن الذي كانت تشهر عداءها له.. صمتًا !

ذلك أن الصمت في عنفه هو تعبير عن حبّ مضاد مدفوع إلى أقصاه.. أيّ أنّه وجه آخر للعشق في تطرّفه. أمّا أن تتصلي برجل عشقته يومًا لتقولي له كلامًا عاديًّا فذلك يعني أنّك أنزلته من عرشه و ساويته بالآخرين.

الصمت.. كما كَسْرُ الصمت سلاح على كلّ امرأة أن تتقن استعماله في مواجهة الانقطاع الطويل..

و لنا في الرجال خير معلّم!

كلّ متّهم بريء إلى أن يشنق!

مقولة من أرشيف الطّغيان العربي

نهلك بما نعشق نحيا بما نخاف

ابراهيم الكوني

لا ترابطي بجوار الهاتف و تربطي حياتك به. فذاك الرجل أخذ قرارًا بألّا يهاتفك و لو متّ على أمل أن يقتلك بسكتة هاتفية. دعيه يموت هو في انتظار ذلك !
إن كنت تودّين إسعاده واصلي التنكيل بنفسك. فلا هدف له إلّا تعذيبك على جريمة وحده يعرفها. يحتاج أن يزهق روحك ليتأكّد من براءتك. إن كنت مولعة بالعشق الفاشستيّ و مشتقاته أبشري !
إنّه يعدّ لك محرقة حطبها.. غباؤك.

عوّضي حاجتك إليه.. بقضاء حوائج الآخرين.

إنّ لله عبادًا اختصّهم بقضاء حوائج الناس حبّبهم في الخير و حبّب الخير إليهم. إنّهم الآمنون من عذاب الله يوم القيامة

حديث شريف

أمـــام فاجعـــة الفقـــدان. إزدادي كرمًـــا و إحســـانًا. هبـــي نفســـك و وقتك لأناس يردّون على خيرك بالعرفان.

وحــده الحــبّ جاحــد. إنّــه يحتــاج أن يتنكّــر لــك ليشــفى منــك. فهــو يرى في اعترافه بجميلك انتقاصًا من قيمته. و تشويه لنفسه.

و مــا يريــده هــو تشــويهك أنــت فــي قلبــه. كــي لا يشــعر بفداحــة خسارتك.

فــي قمّــة ألمــك، احتفــي بمــن يقصــدك. عوّضــي حاجتــك إلــى مــن هجرك بحاجة الآخرين إليك.

فـــالآخرون لا يقصـــدون إلّـــا مـــن يـــرون فيـــه بهـــاء النبـــل و بهـــاء الســـخاء و بهـــاء القلـــب الطيّـــب. هـــم مرآتـــك عنـــدما ينســـيك الـــزمن مواصـــفاتك و خصـــالك. هـــم الـــذين ينبّهونـــك إلـــى جزئيّاتـــك الجميلة التي شوّهها العطاء لغير أهله.

***

"عليــك بالصــدقة و لــو بالقليــل، فإنّهــا تطفــئ الخطيئــة وتســرّ القلب، و تذهب الهمّ و تزيد في الرزق"

تفوّقي عليه حبًّا

لا أعرف قصاصًا أكبر من الحبّ

أنسي الحاج

لا تستسلمي لشهوة الانتقام أيًّا كان غدره بك. وحدها النفوس الصغيرة تهجس بالأذى لأنّها لا تقدر إلّا عليه. غادري حياة من أحببت كنسمة. لا تدمّري مكانًا أقمت فيه.
لا تشوّهي صيت رجل أحببته. كي حين تلتفتين خلفك بعد سنوات لا تجدين خرابًا بل حديقة. قصاصه في الورود التي ستواصلين سقيها في حديقته برغم كونك لن تريها تتفتّح.
واصلي حماية بيته و لو بقلبك. تمني له الخير صادقة ان كان شهما لن ينسيه ما أتاه بعدك من خير ..خيرك و سيؤذيه نبلك ويحرجه .
كوني أميرة , دللي من تعرفين من أهله دون علمه. تفوّقي عليه حبًّا لتصغرّيه في عين نفسه. ارفعي سقف العطاء حتى لا تجرؤ امرأة على أن تأتي بعدك.
هل تعرفين انتقامًا أكبر من هذا ؟

احتج الى من شئت و كن أسيره
أحسن الى من شئت و كن أميره

الامام علي

"و عزّة نفسي منعاني"

ليست المسألة كم تحبّ الشخص حين تحبّه
و إنّما كم تحبّه حين تكرهه
الممثل آستون كوتشر

كلّما اتّسعت القطيعة تحوّل الحبّ إلى ضرب من المنازلة العاطفيّة الموجعة.
كلّ واحد يريد من خلالها ليّ ذراع الثاني مراهنًا على أنّ الآخر لا بدّ أن تهزمه الأشواق و استبداد العادات العاطفيّة المشتركة و الذكريات.
و أنّه حتمًا أوّل من سينهار و يرفع السماعة أو يرسل رسالة هاتفيّة. لكن غالبًا ما ينقلب السحر على العاشق. و بدل أن يقرّب البعاد المحبّين.. يفرّقهم نهائيًّا عندما يتجاوز الانفصال الأيام و الأسابيع إلى الأشهر. و يبدأ عندها كلّ واحد في التشكيك في عواطف الآخر من أساسها.
و ينوب عن شوقه إليه حقده عليه. فالغيرة تأخذ هنا مجدها و توسوس لكلّ واحد بما يزيد من عناده و يشوّه صورة الآخر في قلبه و يملؤه ندمًا على ما ضاع سدًى من عمره.
و تغدو لا رغبة لكلّ واحد إلّا بالانتقام لكرامته العاطفيّة، كلّ حسب قناعاته و أخلاقه و إمكانياته. و ما يرى فيه الردّ

الأكثـــر إيلامًــا للآخـــر. لعبـــة غبيّـــة و ســـاديّة قـــد يمتـــد دمارهـــا إلـــى سنوات عدّة حسب عمق العلاقة و عمرها.
إنّـــه حـــبّ مـــدفوع إلـــى أقصـــاه حـــدّ الـــدمار المشـــترك كنـــوع مـــن التوحد في التشظّي على طريقة كامل الشناوي:

" حطّمتني مثلما حطّمتها فهي منّي و أنا منها شظايا ".

هكـــذا حـــبّ لا يليـــق بغيـــر النفـــوس المريضـــة. لقـــد وُجِـــدَ الحـــبّ لنتحـــدّى بـــه العـــالم لا لنتحـــدّى بـــه مـــن نحـــبّ، و وُجِـــدَ ليبنـــي و يجمّـــل و يســـند، لا ليهـــدّ و يبشّـــع و يـــدمّر. فـــي الواقـــع كـــان يكفـــي كلمـــة واحـــدة. كـــان يكفـــي رنّـــة هـــاتف و صـــوت يباغتـــك يقـــول " إشـــتقتك "، " مـــا نســـيتك "، " أحتاجـــك ". لكـــن لا هـــاتف يـــدقّ و الحـــبّ الـــذي ولـــد وســـط شـــلالات الكلمـــات الجميلـــة... يمـــوت لأنّ كلمة واحدة تنقصه !
كلمـــة , بـــل دقـــة , مجـــرد دقـــة هاتفيـــة , عـــن تحـــدّ بخـــل بهـــا كـــلّ عاشـــق علـــى الآخـــر. متناســـيًا تلـــك الدقـــة التـــي قـــد تـــأتيّ فـــي أيّـــة لحظة لتفرقهما إلى الأبد.. دقة الموت.

* * *

في كلّ مرة تنسى إنّما هو الموت ما تتذكّر و أنت تنسى

موريس بلانشو

غادري نفسك.. كي تعودي و تجدينها

يظلّ يجيء الذي قد مضى   لأنّ الذي سوف يأتي ذهب

المتنبي

لا تتحدّثي عن ماضيك سوى لصديقة واحدة. فالماضي يطوى و لا يروى. كلّما رويته احترقت به، و عدت إلى زنزانته. و منحته حقّ جلدك. لكن أكثر ألمًا من الحديث إلى أحد، ذلك الحديث الذي لا ينتهي مع نفسك حول الجرح نفسه.

و هو ما يسميه رولان بارت " الثرثرة الذهنية " إنّه " فيض كلام يحاجج من خلاله العاشق دون كلل في رأسه مفاعيل جرح أو نتائج سلوك ما: إنّها شكل مفخّم من أشكال الخطاب العشقيّ. العاشق الذي يقع فريسة الثرثرة، لا يكفّ عن ملامسة جرحه ".

حاولي النجاة بنفسك من هذا الهذيان بالخروج إلى نزهة أو بمجالسة أناس جميلي المعشر. اهربي من نفسك. فالشخص الذي عليك ألّا تفتحي معه سيرة جرحك.. هو أنت بالذات.

عليك أن تقتنعي بعد الآن أنّ الحياة أجمل من الذي مضى. أنّك لا تملكين إلّا يومك. و أنّ العودة إلى الماضي قتل لحاضرك و لك أيضًا. و أنّ الاجترار الذي يلامس الهذيان ذبح لك على مدى الليل و النهار. و هو تمامًا ما يريده لك !

إنّه موت مجانيّ و غبيّ، من أجل رجل ليس أهلًا لأن تنحري نفسك حسرة عليه. فالذي قاسمك الماضي و مضى.. كلّف الماضي باغتيالك بعده (هل تعين هذا؟)
فوّتي عليه فرصة قتلك. لا تقيمي على أطلاله. فما زال في الحياة متّسع لتبني لأحلامك قصرًا.
الآن فورًا، أغلقي هذا الكتاب و غادري نفسك.

"ليفتينغ" النسيان...

الحبّ هو أفضل عمليّة شدّ وجه. لكن عمومًا من الأسهل العثور على جراح تجميل من العثور على رجل يستحقّ الحبّ.

الممثلة الفرنسيّة إيمانويل بيار

إن كـان الحـبّ هـو أفضـل عمليّـة شـدّ وجـه. فـإنّ أفضـل كـريم ضد التجاعيد هو النسيان.
لا تدعي الفقدان ينكتب بؤسًا و تجاعيد على وجهك.
فالخسـارة العاطفيّـة تظهـر أوّل مـا تظهـر علـى وجـه المـرأة.
مهمـا تجمّلـت ستشـي بـك الملامـح المتعبـة. العيـون التـي لـم تـنم.
الخـدود التـي كانـت نضـرة و مـرّت بهـا سـواقي الـدموع.
الرمـوش التـي كانـت سـاحرة و جارحـة و انكسـرت و ذبلـت لفرط بكائك السري و انهطالك الداخلي المتواصل.
أخرجـي هـذا الرجـل أوّلـا مـن وجهـك. لا بـدّ ألّـا ترينـه فـي المـرآة عندما تقفين أمامها في الصباح.
فبشـاعته داخلـك، و ذلـك الكـمّ مـن الأذى الـذي ألحقـه بـك، سـيتحوّل إلـى أحاسـيس قبيحـة و ضـارة تشـغل كـلّ مكـان كـان يحتلـه فـي جسـدك. سـيعبر وحلـه شـرايينك و كريـات دمـك و ينتهي في ملامح وجهك.

لا تـــدفعي مـــن جمالـــك و نضـــارتك.. ثمـــن خـــروج هـــذا الرجـــل مـــن حياتـــك. فهـــو لـــم يـــدفع هـــذه " القيمـــة المضـــافة " للفـــراق. لا ثمنًـــا و لا زمنًـــا. حـــداده عليـــك ســـيكون قصـــيرًا. فلـــو كـــان طويلًـــا و موجعًا و مكلفًا لما تخلّى عنك.

نصيحة:

الوجه هو أوّل ما يراه فيك الآخرون.
و أوّل مـــا رآه فيـــك هـــذا الرجـــل يـــوم أحبّـــك. يومهـــا حتمًـــا مـــا كنـــت علـــى هـــذا القـــدر مـــن الـــذبول. كـــان حولـــك مشـــاريع حـــبّ. فقـــد كنـــت تبثّـــين ذبـــذبات بهجـــة. تـــذكّري كـــم كنـــت يومهـــا مشـــرقةً و شهيّةً. كنت متألّقة كنت واثقة. كنت امرأة.
اعلمـــــي أن للإشـــــعاع جاذبيّـــــة. و أنّ شـــــعورك بأنّـــــك محبوبـــــة يجذب إليك الحبّ.
لـــذا عنـــدما يتخلّـــى عنـــك الحـــبّ. لا تجـــدين أحـــدًا مـــن الـــذين كـــانوا يتمنّونـــــــك يـــــــوم كنـــــــت عاشـــــــقة. فإحباطـــــــك و ذبولـــــــك و الذبـــــذبات الســـــلبيّة التـــــي تبثّهـــــا أنوثتـــــك المجروحـــــة تجعلهـــــم ينسحبون.

الحلّ:

فـــي انتظـــار أن تحبّـــي أحـــدًا. و لكـــي يحبّـــك أحـــد. أحبّـــي نفســـك. جمّليهـــا. دلّليهـــا. غـــاري عليهـــا. اهـــديها مـــا كنـــت تبخلـــين بـــه عليهـــا

لتهدينـــه لمــن تحبّــين. خصّصـــي لهــا مــن الوقــت مــا لــم تكــوني فـــي الماضي تملكين.
أعدّيها للحبّ دون أن تخبريها بذلك.

* * *

كلّ إنسان يصبح مسؤولًا عن وجهه بعد سنّ معيّنة

ألبير كامو

ماذا هو فاعل الآن ؟؟

بينما أطارحك البكاء
ثمّة امرأة كما دون قصد
تضمّها إليك
من دون شعور بالذنب
تعابثها يدك
يدك التي تحفظني عن ظهر قلب

***

قلبي الذي يراك
و يدك التي لا تراني
كيف تسنّى لها أن تغدق على أخرى
بتلك الشهقة التي سُرقت مني
مشهرة في وجه قلبي مستندات الشرعية!

لا أكثر أذًى من هذا السؤال.
كلّما راودك نحرت نفسك بسكّين غير صالح للذبح. إنّه يقتل في الدقيقة مليون مرة. دماره يعادل القنبلة الذرية التي ألقتها أمريكا على هيروشيما فمسحتها عن وجه الأرض. إنّه يتكرّر صباحًا حال استيقاظك و ليلًا قبل نومك. و في نهايات اليوم و في نهايات الأسبوع.

في المناسبات و في عطل الأعياد. عندما تمطر و حين تثلج. و حين ترتفع حرارة الطقس و تتفتّح مباهج الحياة. لكأنّ الرزنامة و الطبيعة تآمرتا عليك، لخلق حاجة لديه لوجود امرأة. في كلّ شيء و في كلّ مناسبة ترين فرصة لخيانته لك.
ذلك أنّك تملكين مرجعًا و دليلًا لعاداته من خلال ذكرياتك معه. واثقة تمامًا أنّه في المناسبات إيّاها، سيكرّر لو استطاع كلّ شيء بحذافيره و تفاصيله.. فالرجل ابن عاداته.
أطمئنك. إنّه سيفعل. و إن لم يخنك بعد فليس وفاءً لك. بل خوفًا على نفسه من الأمراض و عواقب المغامرات. إنّه فقط يبحث عن مرفأ آمن لمركبه. و ذات يوم ستنهار مقاومته. إنّه حيوان جريح يسهل اصطياده. تشتمّه النساء على بعد كيلومترات. فالعثور على رجل بقلب منكسر غنيمة نسائية. مواساته قد تأخذ سنوات ذلك أن " الطريدة تسهر على صيادها " حسب طلال سلمان .
و لأنّه يصعب على رجل أن ينتقل من حبّ كبير إلى مغامرة صغيرة، دون أن يتلوّث أو يصغر أمام نفسه. سيجد أكثر من ذريعة ليبرّر لنفسه ما أقدم عليه. سيخوّنك ليبرّأ ضميره. و يشوّهك ليجمّل نفسه. و سيقاطعك كما لو كنت بضاعة اسرائيليّة.. أو زبدة هولنديّة. في الواقع، ما عاد لديه صوتًا يواجهك به. فحتى صوته قد خانك !

نصيحة :

توقّفي عن تعذيب نفسك بسؤال " ماذا تراه فاعل الآن ؟ "

ما هو أقصى شيء يمكن في رأيك أن يفعله ؟ ليفعله !
فكّــري فــي مــا لــن يســتطيع فعلــه مــن دونــك بعــد الآن، و سيصــنع تعاســته. كــأن يضــمّك إلــى صــدره و يغــدو ملگــا علــى العــالم.
وما لن يستطيع قوله.. وقد أصبحت لغيره.

من تنادين مات

عنـــدي بعـــض الوقـــت
دعنـــــي أتأمـــل غـــروب خطـــاك
عنـــدما يـــوليني الحـــبّ ظهـــره
دعني أنصت إلى صخب غيابك
فـي هـذه اللّحظـة الرائعـة للأفـول
عنـــدما تعلـــن الأشـــياء موتـــك

أمـــام أوّل رســـالة تبعثينهـــا ولا تتلقـــين عليهـــا جوابًـــا تـــوقّفي نهائيًّـــا عن المراسلة.
إنّ الانقطـــاع التـــام أخـــف علـــى العاشـــق مـــن رســـائل يقابلهـــا الصـــمت. فالصـــمت مســـاحة للتـــأويلات التـــي قـــد تـــذهب بـــك فـــي كلّ الاتجاهات.
و ســـتخطئين حتمًـــا فـــي تفســـير صـــمت الطـــرف الآخـــر فـــبعض الصـــمت عتـــاب أو إهانـــة .... و آخـــر حـــبّ... و ثالـــث حـــبّ مضـــاد... لكـــن أيًّـــا كـــان فهـــو يفســـد و يغيّـــر صـــورة الآخـــر فـــي قلبـــك و طريقـــة إحساســـك بـــه. كلّمـــا طـــال الصـــمت تشـــوّه الحبيـــب و أصـــبح كائنًـــا غريبًـــا عنـــك. و نـــاب عـــن صـــوته مـــرارة تقتـــل كـــلّ مـــا كـــان حلـــوًا بينكمـــا. و أيًّـــا كانـــت الرســـالة التـــي كـــان يريـــد إيصـــالها لـــك فـــي البـــدء بصـــمته فلـــن تصـــلك إلّـــا مشـــوهة. إنّهـــا صورة عنه.
فـــي إحـــدى رســـائله يحـــذّر فرويـــد الشـــاب خطيبتـــه مـــن عواقـــب عـــدم ردّهـــا علـــى رســـائله و انعكـــاس هـــذا علـــى مســـتقبل حبّهمـــا:

" لا أريد أن تبقى رسائلي دون جواب، و سأتوقف فورًا عن الكتابة لك إن لم تجيبي على رسائلي. تؤدي المناجاة المستمرة للمعشوق، التي لا تلقى منه تغذيّة أو تصويبًا، إلى أفكار خاطئة تطول العلاقات المتبادلة. و تجعلنا غريبين، الواحد منا عن الآخر، عند تجدّد اللقاء، و عندها نجد الأشياء مختلفة عما كنّا نتصورّها، دون التأكد من ذلك ".

الصمت هو بداية الاغتراب بين عاشقين كانا لفرط انصهارهما غرباء عن العالم، مكتفيان بذاتهما. و أصبحا بحكم الانقطاع غرباء عن بعضهما البعض. إنّها فاجعة.

لكن ستكون صدمتك أقل إن أخذت علما بها باكرًا. غير أنّ هذا غالبًا ما يحدث متأخّرًا لأنّ المرأة ستواصل محاولة إنقاذ الحبّ و لو بالتواصل المتقطّع.

نصيحة:

برغم ذلك لا تفتحي قلبك (و هاتفك) فورًا لحبّ جديد. خذي الوقت الكافي لتأمّل جثّة ذلك الحبّ "الكبير" و هي تتحلّل فيك و حولك. ستتألّمين لكن ستشفين بطريقة أفضل.

كلّ مساء تأمّلي مشهد غروب العواطف و قرص الحبّ و هو يغرق بحمرته الدامية في بحر أوجاعك.

غدًا من المكان نفسه ستطلع الشمس . ذلك أنها مثلما تغرب بداخلك ستشرق الشمس منك .

" الغروب هو ظاهرة ذهنية قبل كل شيئ "

فرناندو بيسيوا

دعيه يجرّب!

لأنّنا لسنا الصبوحة، نواجه كنساء عربيّات حاجزًا نفسيًّا كبيرًا يجعلنا أيًّا كان عمرنا نزهد في الشباب من الرجال و نهجس بآخرين لا أمل يرجى من شعرهم الرمادي.
ذلك أنّ المرأة العربيّة مثل الشعوب العربيّة تربّت على الحاكم الأب و لم تعرف للرجولة رمزًا إلّا حكّامًا شابوا على الكرسيّ.
لذا لا تتصوّر نفسها تحبّ رجلًا أصغر عمرًا من أبيها الحاكم.
و لا تفهم أنّ نساءً في كلّ قواهن العقليّة صوّتن في أمريكا و روسيا على حكّام في فتوّة أوباما و ميدفيديف. كيف أنّ نساء ينتمين إلى بلدين هما أعظم قوّتين في العالم تجرّأن على هجر مخدع التاريخ و ارتمين في أحضان فتيان السياسة ؟
بربكن ألا تجدن هذا الرجل الممشوق كحصان أسود الذي حسب برلسكوني " وسيم و يافع و كذلك مكتسب سمرة الشمس" رجل سكسي و هو يقفز مهرولًا إلى المنصّة هل رأيتن حاكمًا عربيّا يهرول هكذا ؟ لا تسألن أنفسكن لماذا !
أم هذا الفتى الروسي الرشيق الخطى " الذي يمشي ملكًا " حسب أمّ كلثوم مغرٍ في خبث ابتسامته !.
بعضنا عن مبدأ و أخريات عن عقدة زهدن في رجال يصغرنّهن و لو بعام. فعندما لا نعاني من عقدة الأمومة...

نعــاني مــن عقــدة الأب. و أحيانًــا نحمــل العقــدتين معًــا دليلًــا علــى فائض عروبتنا، و أنوثتنا (زيادة الخير.. خيرين).
عكــس نســاء الأرض، المــرأة العربيّــة التــي تربّــت فــي مجتمــع أبــويّ لا تريــد فتيانًــا و لا شــبابًا، تريــد رجلًــا خارجًــا مــن كتــب التــاريخ. لكنّهــا تعثــر علــى رجــل خــارج مــن العيــادات الطبيّــة، بحكــم أنّهــا تريــده رصــينًا و ناضــجًا بشــعره الرمــادي و همومــه الوجوديّة.
غيــر أنّ الرجــل فــي خريــف العمــر يحتــاج إلــى حــبّ أقــلّ و إلــى كــذب أكثــر.. ينهكــه الحــبّ الكبيــر الــذي تهجــس بــه النســاء علــى طريقــة المسلســلات التركيّــة. هــنّ يــردن " مهنّــد " و" يحيــى " كنمــوذج لرجــال يبقــون عشّــاقًا أوفيــاء حتــى آخــر حلقــة مــن المسلسل.
أمّــا الرجــل فقــد اكتســب مزاجًــا " مكســيكيًّا " قــادم مــن مسلســلات لا يعرف فيها من ابن من ؟ و لا ممّن حبلت الشغالة !
ربما كان الحلّ في أن نبدأ بمشاهدة المسلسلات نفسها.
لا تنســي أنّــه فــي هــذا العمــر غالبًــا مــا يعــاني الرجــل مــن مــرض الســكري و مــن ضــغط الــدم و مــن مــرض القلــب و الرومــاتيزم و الكولســترول ومــن القســور الكلــوي ومشــاكل فــي النظــر ومــن كآبــة منتصــف العمــر... و مــن أمــراض رجاليــة وقّــر الله علينــا شــرّها. لكنّــه بــين جرعتــيّ دواء، و بــين الأقــراص البيضــاء و تلك (الزرقاء) يحتاج إلى الوقوع في الحبّ كلّ يوم.
فهــو يفضــل علــى حــبّ كبيــر، حبًّــا بالتقســيط المــريح لاعتقــاده أنّــه مع كلّ قصّة حبّ يقع في شبابه !

بعض الرجال يسمّون " المطبّات العاطفيّة " حبًّا. مراوغة منهم للموت و الشيخوخة و خوفًا من حفرة المطب الأخير.
في الحالتين لا مفرّ من المطب. كان الصديق صالح العزّاز رحمه الله يقول " من تمسّك بأذناب البقر رمين به في الحفر"!
دعيه إذن للبقر، أعني البقرات " الفاضلات "، " الماجدات" (ألا يذكّرك هذا التعبير بزمن عربيّ ما ؟).
غدًا... (و غدًا لناظره قريب) عندما يسقط هذا المخلوق في حفرة و هو مثل السنجاب ينطّ من بقرة إلى أخرى، سيذكرك بالخير و هو في قاع البئر. حينها سيتنبّه و قد خانته رجلاه عند محاولة الصعود أنّه تجاوز عمر الجنون. و ما عادت تفيد معه أيّة أدوية و لا تعاويذ سحرية و أنّ لا امرأة غيرك كانت قادرة على انتشاله من قاع العمر.
و أتمنّى أن تكوني يومها قد تجاوزت سنّ الحماقة و ألّا تأخذك به الشفقة فتمدّين له يد المساعدة.
دعيه حيث هو. " اللّي باعك بالفول... بيعو بقشور الفول"! تقول أمي!

***

"كلما زاد ايمانك بذكائك سهل على المرأة أن تخدعك"

بيرون

لست وحدك كلّ.. العشاق أهلك!

لا تتـــوقّفي عنـــد مأســـاتك العاطفيّـــة. كـــأنّ قصّـــتك حـــدث كَـــوْني أو مأســـاة حصـــريّة لـــم يعـــرف الحـــبّ شـــبيهًا لهـــا. قصّـــتك قطـــرة فـــي محـــيط العواطـــف العاتيـــة التـــي مـــا انفكـــت تعبـــث بأقـــدار النـــاس مـــدًّا و جزرًا منذ بدء التكوين.

لا نجـــاة. أن تحبّـــي و تتعـــذّبي يعنـــي أنّـــك علـــى قيـــد الحيـــاة. مـــا أنـــت إلّـــا قصّـــة بـــين ملايـــين القصـــص التـــي يعيشـــها ملايـــين العشـــاق الـــذين لا تعـــرفينهم. أنـــت تنتمـــين إلـــى أكبـــر تجمّـــع بشـــري يـــدين بالحبّ. استمعي إلى الأغاني العاطفيّة بكلّ اللغات.

كلّ من يبكي حبيبًا له قرابة بك. في دموعه عزاؤك.

من يسقط في النـهر.. يتمسّك بالأفعى

" بين اللحظة التي تسبق الافتراس وغفلة الضحية مساحة من الهواجس لا يعرف مداها إلّا الرجال "

لا تستعيني لحظة سقوطك في هاوية الفراق بأوّل رجل يصادفك و يعير حزنك أذنًا صاغيةً.
إنّها أكبر الفخاخ التي يقع فيها الرجال، و أغلاها تكلفة.
فامرأة تصغي إلى أحزان رجل هي في منتصف طريقها إلى قلبه، و سينتهي به الأمر إلى تسليمها قلبه معتقدًا أنّها أمّه.
اهتمامها به يعميه عن طرح الأسئلة. الأجوبة سيكتشفها لاحقًا. عندما يستيقظ من تخديرها و يحتاج امرأة أخرى يشكو لها ما حلّ به !
أنت منهكة و على مشارف الغرق. و لن تميّزي بين الأفعى و خشبة الخلاص.
ثمّة أفاعي و تماسيح تنتظر في النهر سقوط امرأة لا تحسن العوم !
أنت دون مناعة عاطفية. " تلتقطين حبًّا " كما تلتقطين رشحًا أو انفلونزا.

حاذري الوقوع في ما يحدث للرجال الخارجين لتوّهم من خيبة عاطفية. إنّهم الطريدة الأسهل. يقعون في شباك أوّل

امـــرأة تحنُـــو علـــيهم. هربًـــا مـــن امـــرأة قســـوا عليهـــا. فيســـلّمونها مستبشـــرين كـــلّ مـــا ظنّـــوا أنّهـــم أنقـــذوه مـــن المـــرأة الأولـــى. فتنـــتقم الثانية للأولى... و لو بعد حين و في هذا عزاؤنا ودرس لنا !

***

يجـــب اســـتغلال أكبـــر عـــدد مـــن النســـاءالغبيات لنســـيان امـــرأة ذكية

ميشيل أوديار

الوفاء في عتمة الغياب

فلا عنك لي صبر و لا فيك حيلة   و لا منك لي بدّ و لا عنك مهرب

أثنـــاء الغيـــاب الطويـــل، و أنـــت فـــي عتمـــة الأســـئلة. ســـتنحازين إلـــى الإخـــلاص لحبيـــب تـــراهنين علـــى عودتـــه، و تريـــدين أن تحتفظـــي لـــه ســـاعة اللقـــاء بشـــهقة أنوثـــة، زهـــدَتْ فـــي مبـــاهج الـــدنيا فـــي انتظاره.
الوفـــاء مكلـــف، وحـــدك تحـــدّدين ثمنـــه. لأنّ لا أحـــد يـــدري كـــم دفعـــت و مـــاذا رفضـــت و كـــم انتظـــرت و هـــل الـــذي انتظرتـــه أهـــل للثمن.
ضـــعي فـــي الاعتبـــار خســـاراتك. و اعلمـــي أنّ مـــا تكســـبينه مـــن إخلاصـــك تأخـــذين مكافأتـــه مـــن عـــزّة نفســـك أوّلًـــا. مـــن زهـــوك بعفّتك فالعفة زينة المرأة. و الوفاء تاج الحبّ.
لا تنتظـــري امتنانًـــا مـــن حبيـــب فقـــد تفـــاجئين بعكـــس مـــا تتـــوقّعين. قـــد يشـــكّ فيـــك مـــن أخلصـــت لـــه كعميـــاء. و قـــد يثـــق آخـــر فـــي امـــرأة خانته بذكاء.
الوفاء على أيامنا " شطارة " !

صلّي.. ففي سجود قلبك نسيانه

" مـن كـان الله معـه فمـا فقـد أحـدًا

و من كان الله عليه فما بقي له أحد"

السلام الروحي يأتي قبل الهناء العاطفي، فهو أهمّ من الحبّ. كلّ عاطفة لا تؤمّن لك هذا السلام هي عاطفة تحمل في كينونتها مشروع دمارك.
أمام كلّ المشاكل العاطفيّة أو النفسيّة بالإيمان. و جاهدي الحزن بالتقوى. بقدر إيمانك يسهل خروجك من محن القلب و فوزك بنعمة النسيان. لأنّ الإيمان يضعك في مكانة فوقيّة يصغر أمامها ظلم البشر.
عليك بالصلاة.بالصلاة وحدها نستطيع أن نحقق بين الجهد و العقل و الروح اتحادا يكسب العود البشري الواهي قوة لا تتزعزع . يقول كارلبل إن صلّيت صلاة يحضر فيها قلبك فسيغيب عن فكرك أيّ أحد و أيّ شيء عدا الله. و تكونين قد تجاوزت النسيان إلى الطمأنينة. و هي أعلى مراتب السعادة النفسيّة. " ألا بذكر الله تطمئن القلوب ".
كان مسلم بن يسار في المسجد فانهدّت طائفة من المسجد، فقام الناس و لم يشعر أن اسطوانة المسجد قد انهدت. و كان يقول لأهله إذا دخل في صلاته " تحدّثوا فلست أسمع حديثكم ".

و قـد بلـغ مـن زهـد يعقـوب الحضـرمي أن سُـرق رداؤه عـن كتفـه و هو في الصلاة و رُدّ إليه و لم يشعر.
أطيلـي صـلاتك حتـى لا تعـودي تنتبهـي إلـى مـن سـرق قلبـك، إن كان أخذه.. أم ردّه.
كلّمـا أقبلـت علـى الله خاشـعة. صَـغُرَ كـلّ شـيء حولـك و فـي قلبـك. فكـلّ تكبيـرة بـين يـدي الله تعيـد مـا عـداه إلـى حجمـه الأصـغر. تـذكّرك أن لا جبـار إلّـا الله و أنّ كـلّ رجـل متجبّـر حتـى فـي حبّـه هـو رجـل قليـل الإيمـان متكبّـر. فـالمؤمن رحـوم حنون بطبعه لأنّه يخاف الله.
إبكـي نفسـك إلـى الله و أنـت بـين يديـه. و لا تبكـي فـي حضـرة رجـل يخـال نفسـه إلـه، يـتحكّم بحياتـك و موتـك. و يمـنّ عليـك بالسعادة و الشقاء متى شاء.
البكـاء بـين يـدي الله تقـوى و الشـكوى لغيـره مذلّـة. هـل فكّـرت يوما أنّك غالية على الله.
اسـعدي بكـلّ موعـد صـلاة. إنّ الله بجلالـه ينتظـرك خمـس مـرات فـي اليـوم. و ثمّـة مخلـوق بشـري يـدبّ علـى الأرض يبخـل عليـك بصوته و بكلمة طيّبة.
مـا حاجتـك إلـى " صـدقة " هاتفيّـة مـن رجـل. إن كانـت المـآذن ترفـع آذانهـا لـك و تقـول لـك خمـس مـرات فـي اليـوم أن ربّ هـذا الكون ينتظرك و يحبّك.
" لقد حررني الله فليس لأحد أن يأسرني "

صومي.. تنسي!

" يعرف موت القلب بترك الطاعة، و إدمان الذنوب، و عدم المبالاة بسوء الذكر، و الأمن من مكر الله"

و أنت تنشدين النسيان، قد تسلكين طرقًا لا تزيدك إلّا تيها.
تسافرين كي تنسي فتعودي أكثر حزنًا. و تشترين ثيابًا جميلة فلا تدرين لمن ترتدينها. و تقصدين مطعمًا و لا شهيّة لك للأكل. و تلجئين إلى مشعوذ فيُدخلك نفقًا لا ضوء في آخره.
و ماذا لو كان النسيان في ترك ما تُقبلين عليه. إنّه أقرب إليك من مكان تأخذين الطائرة لبلوغه. و أشهى من طعام ما عدت تستذوقينه. و أبقى من ثوب لا ترتدينه لمن تنتظرينه، و قد يخذلك، بل لربّ سيراك فيه و ينتظرك.
هل أجمل من ثوب لا يُشترى، بل يُهدى.
وحده الله يكسو به من اصطفى من عباده فيستر به عيوبهم و يطهّر قلوبهم. و يمنحهم ذلك البهاء الاستثنائيّ. بهاء التقوى.
الصيام رداء الأتقياء. ذلك أن الانتصار على النفس لذّة المؤمنين و العظماء.
لا أعرف غير الصيام فريضة، توسع الصدر، و تقوّي الإرادة، و تزيل أسباب الهم، و تعلو بصاحبها إلى أعلى المنازل. فيكبر المرء في عين نفسه. و يصغر حينها كلّ شيء في عينه. حالة من السموّ الروحي، لا يبلغها إلّا من يتأمّل في حكمة الله من وراء هذه الفريضة.

الصوم يعيد للأشياء قيمتها الأولى بحرمانك منها. فمن صام طاب طعامه. و علا بين الناس مقامه.. و قد كان نابليون يصوم من دون أن يكون مسلمًا. فقد كان يرى في الصيام صحّة جسديّة و نفسيّة و تقوية للعزيمة.

أمام كلّ أوجاع القلب على اختلاف أنواعها و أسبابها في هذه الدنيا. أمام كلّ مصاب، أقبلي على الصيام. كشيء تريدينه و تتمنّينه. لا طمعًا في الثواب فحسب، بل رغبة في إسعاد نفسك.

أقبلي عليه برغبة جارفة كمن يقصد نبعًا تتدفّق من عينه مياه مباركة تصنع المعجزات. فمن خَيِرَ نِعَمَ الصيام على الجسد و الروح. عاش على ظمأ يستعجل قدوم شهر رمضان. يقوم ليله و يصوم نهاره.. و لا يرتوي من تلك السكينة و الغبطة التي ينزلها الله تعالى على قلوب الصائمين. أعني الصائمين بجوارحهم و حواسهم جميعها. هذه السكينة هي بالضبط ما تحتاجينه في محنتك مع النسيان الذي هو اضطراب نفسي و وجداني يُفسد عليك الحياة لأشهر.

بالصيام يصل الصبر و الرضى إلى منتهاه. من قاوم جوع جوارحه استقوى بالاحتمال على مطالب قلبه.

هل خبرت فرحة الصائم حين يشقّ الفطر ؟ كذلك هي فرحة من فاز بالنسيان بعد حرمان و صبر.

***

" عازز عليّ النوم طيفك على بالي
غير الصلا و الصوم ما يصبّروا حوالي "
من أغنية لبنانيّة أحبّها

وصفات لنسيان رجل

" لا لـــيس أنـــا، إنّــه غيـــري مـــن يتـــألّم.
مثل هذا الألم، ما كان في طاقتي و احتمالــي "

آنّا أخمتوفا

ابعدي عن البحر.. و غنّي لُو!

هـــا هـــو ذا البحـــر
بعيونـــــه الزجاجيـــــة المســــــتديرة
تلــــك التــــي لـــم تخلــــق للحــــبّ
و لا خلقـــت للبكـــاء
فمـــا الـــذي أوصـــلك إلـــى هنـــا؟
دمعتـان أمـام جـدار مـن المـوج أنـت
و كـلّ البكـاء علـى كتـف البحـر عبـث
تفرّجـي عليـه مـن شـرفتك المسـائيّة
و تعلّمـي أن تكتفـي بزرقـة الاشـتهاء!

هـــا قـــد ركبـــت رأســـك و قـــرّرت النســـيان... برافـــو عليـــك يـــا " أخت الرجال " !

إن أردت الوصـــول إلـــى بـــرّ الأمـــان لا تغـــادري البـــرّ أصـــلًا. ابقـــي علـــى ســـطح الأشـــياء. لأنّـــك كلّمـــا ذهبـــت عمقًـــا، أعطيـــت المشـــاعر فرصةً للفتك بك. و فتحت نوافذ تطلّ على مزيد من الذكرى.

تريـــدين أن تنســـي. تمـــدّدي علـــى الشـــاطئ بعـــد أن تحمـــي بشـــرتك بكـــريم واقـــي مـــن الأشـــعة فـــوق البنفســـجيّة للحنـــين. (جـــدّدي وضـــع الكـــريم كـــلّ ســـاعتين حســـب نصـــيحة أطبـــاء الجلـــد. فـــالحنين قـــد يختـــرق مســـامك مـــن حيـــث لا تـــدرين ذلـــك أنّ مـــن

تحبّــين ملتصــق بجلــدك و هــو مــا لــم تحســبي لــه حســاب. فكــلّ الأغاني العربيّة كانت تؤكّد أنّ مكانه في قلبك).
خطــأ عــاطفي جغرافــي آخــر وقــع العــرب فــي فخّــه. و لــو توقّــق العــرب فــي تحديــد المواقــع الإســتراتجية لمــا كنّــا خســرنا تلــك الحروب !
و لأنّــك يــا وليّــة، لســت قــدّ المعــارك المصــيريّة اكتفــي بالتمــدد علــى الشــاطئ و التفــرج علــى البحــر و أنــت تحــت شمســيّتك الزاهيــة الألــوان ألوانهــا الزاهيــة جــزء مــن علاجــك النفســي.
وكذلك كرسي الاستلقاء بوسائله المريحة
لا تبحــري بذريعــة النســيان نحــو الماضــي بحثًــا فــي جثــث البواخر الغارقة عن ذكرياتك الجميلة.
فــي ذلــك العــالم الســفلي المعــتم للمشــاعر قــد تفاجئــك كائنــات بحريــة مفترســة تتــربّص بنزولــك دون زوّادة الأكســجين نحــو الأسفل... سيحلّ بك ما حلّ بنزار.
فيأخــذك المــوج نحــو الأعمــاق. و تصــيحين " إنّــي أتــنفّس تحــت المــاء.. إنّــي أغــرق.. أغــرق.. أغــرق.." و لا أحــد سيســتطيع من أجلك شيئًا.
لا صوت لمن يغرق.
واللي غرق غرق و اللي هرب هرب !

نصيحة:

لقد هرب. لكن لم يأخذ معه الذكريات.

إنّهــا قصاصــك الثــاني. ستتشــبّثين بهــا لكونهــا كــلّ مــا بقــي لــك منه.
خطأ. عليك الآن إنقاذ حياتك التي أراد تدميرها.
و فــي أحســن النوايــا هــو لــيس معنيًّــا بخرابهــا بعــده. كفــاك إذن غوصًــا بحثًــا عــن غنيمــة مــا يمكــن انقاذهــا مــن الماضــي . عنــدما تعثــرين داخــل بــاخرة الحــبّ الغارقــة علــى صــندوق الــذكريات الثمينــة التــي أضــعتها تكــونين قــد عثــرت علــى أســلحة دمــارك الشــامل. فهلاكــك بعــد الآن فــي أن تعيشــي علــى الماضــي رهينــة رجــل يعــيش أثنــاء ذلــك حاضــره. ليــذهب إلــى الجحــيم هــو و ذكرياته.
مــا دمــت حيّــة ســتكون لــك ذكريــات. جمّلــي إذن ذكرياتــك القادمــة بالإصرار على الحياة.
فما الذكريات إلّا تراكم الحاضر ! كما يقول رينيه شار.

***

تجنّبي الأغاني العاطفيّة [إلّا إن كنت مازوشيّة!]

" قل لي 7 أغان تحبّها و أنا أقصّ عليك حياتك و أبكيك "

هـي بالضـبط هـذه الأغـاني السـبعة التـي عليـك أن تنسـيها فـي فتـرة نقاهتـك العاطفيّـة. لـن تجـدي أيّـة سـلوى أو مواسـاة فـي الأغـاني التـي تمجّـد الحـبّ. أو تلـك التـي تشـكو غـدر الحبيـب. خاصـةً أنّ ثمّـة أمـرًا عجيبًـا حقًّـا: عنـدما تكـونين عاشـقة أو تكـونين فـي حالـة فـراق (و حالتـك حالـة !) تبـدو كـلّ الأغـاني حتـى الأكثـر سـذاجة و كأنّهـا كتبـت لـك و لا تحكـي إلّـا قصّـتك أنـت بالـذات. و علـى غبـاء كلماتهـا.. التـي مـا كنـت تنتبهين لها في الماضي.. ستبكيك ..

إن لـم تكـوني مازوشـيّة فـاقلعي عـن جلـد نفسـك و رفـع ضـغطك بما هبّ و دبّ من أغاني الحبّ.

أمّـا قمّـة الغبـاء فالاسـتماع إلـى الأغـاني التـي كنتمـا تسـتمعان إليهـا معًـا فـي ذلـك الـزمن الجميـل. مـا أدراك يـا حمقـاء ربمـا كـان

يقضـــي وقتًـــا جميلًـــا مـــع غيـــرك. بينمـــا فتحـــت أنـــت فـــي بيتـــك " حسينيّة " لتبكيه.

نصيحة:

اســـتمعي إلـــى الموســـيقى. الموســـيقى الراقيـــة الجميلـــة و المبتهجـــة. فوحدها الموسيقى تجعلنا حزينين بشكل أفضل.

جربي:

الدانوب الأزرق ل "شتراوس"-

البوليرو لرافيل

معزوفات كليدرمان على البيانو

سيمفونيات شوبان المبهجة

احزني بحضارة يا متخلّفة!

ثمّـــة أغنيـــة لفيـــروز عليـــك أن تجعلـــي منهـــا نشـــيدك الـــوطني و هـــي " بتمرق عليّ امرق ما بتمرق ما تمرق مش فارقة معاي ".
اســـتمعي طبعًـــا إلـــى أغـــاني جاهـــدة وهبـــي المرفقـــة بهـــذا الكتـــاب. فقـــد عملنـــا علـــى أن يكـــون ال CD جـــزءًا مـــن العـــلاج الـــذي عليـــك إتباعه للتعافي من الماضي و بلوغ النسيان.
يمكنـــك تنـــاول هـــذه الأغـــاني علـــى الريـــق و قبـــل الأكـــل و بعـــده.. و قبـــل النـــوم و حـــال الاســـتيقاظ. و قبـــل الفـــراق و بعـــده. مـــدّة العـــلاج مفتوحـــة و لا وجـــود لأيّـــة تحـــذيرات خاصّـــة. لـــم تســـجل أيّـــة أعـــراض جانبيّـــة عـــدا حـــالات بكـــاء لـــبعض النســـاء و هـــنّ يســـتمعن لأغنيـــة " لـــك وحـــدك " أو " صـــبرت عليـــك " . لكـــن

سـرعان مـا تنسـيهن " قبلـة النسـيان " دمـوعهن.. و يأخـذهن " التانغو " إلى البهجة !

لا تصدّقي الأساطير.. فمؤلّفوها رجال!

تعـا و لا تجـي
و كـذوب علـيّ
الكـذبي مـش خطيـي
وعـدني إنّـو رح تجـي
و تعـا و لا تجـي..
فيروز

إعتبـري مـن ملايـين النسـاء العربيّـات كمـا الأخريـات اللائـي أهـدرن سـنوات مـن أعمـارهن فـي انتظـار عـودة " الحبيب المنتظر" أبدًا... و منذ الأزل.
فـي الأسـاطير و الخرافـات وحـدها يعـود فـارس أحلامـك ليسـأل عنك.
يمـرّ بغابـة. يـرى تلـك الجميلـة النائمـة التـي حلّـت بهـا لعنـة سـاحرة شـريرة. يقبّلهـا فتسـتيقظ. لقـد أبطلـت قبلتـه مفعـول

السحر. لكنّ الجميلة النائمة دفعت مئة عام من عمرها في سبات سحريّ مقابل قبلة.
القصّة تمرّ بسرعة على ذلك الزمن الأنثويّ المهدور لتربّينا منذ الصغر على الانتظار و الاستكانة. و على قيمة ما يمنّ به رجل عليك أثناء عبوره. فقبلة منه تعادل دهرًا بمقياس الأنوثة !
في الأوديسة تكافأ بنلوب بعودة زوجها أوليس لا لأنّها على مدى خمس عشرة سنة كانت تحيك رداء الانتظار في النهار و تفكّ خيوطه ليلًا عن وفاء. بعد أن أعلنت لمن عرضوا عليها الزواج أنّها لن تتزوّج حتى تنتهي من حياكة ذلك الثوب. بل لأنّ هذه الأسطورة (التي كتبها رجل)، أرادت أن تقتنع النساء اللائي يمثّلن نصف البشريّة بفضائل انتظار النصف الآخر. انطلاقًا من أنّه يحدث للرجال كما القطط و الحيوانات الأليفة أن يتوهوا.. و يصولوا.. و يجولوا.. و يضيعوا في الجزر المسحورة. لكنّهم يعودون دائمًا لتلك المرأة الساذجة التي أثناء ذلك أهدرت أجمل سنوات عمرها في انتظارهم كخطيبة.. أو كزوجة تربّي أثناء غيابهم أولادهم و تصون شرفهم. و تحمي بيتهم (تمامًا كما أراد لها هوميروس).
و إن كانت بنلوب قد سعدت بعودة زوجها بعد خمس عشرة سنة من الانتظار. فأنا أعرف شخصيًّا ثلاث قصص لنساء عربيّات انتظرن خطيبًا أو زوجًا أسيرًا، حكم عليه بالسجن سبع عشرة سنة و عندما أطلق سراحه انفصل عن الفتاة أو المرأة التي ارتبطت به أثناء أسره. لا أريد أن أحكم على

هؤلاء الرجال أو ألومهم، لعلمي بما يلحقه الأسر الطويل من دمار بنفسيّة رجل. لكنّني لا أستطيع إلّا أن أتعاطف مع من انتظرنهم لسنوات في سجن الترقب.
يشهد الله سبحانه الذي خلقنا على هذا القدر من الصبر و الغباء، أنّنا كائنات نذرت عمرها للانتظار حتى نسينا ما كنّا ننتظر بالضبط في البداية. و حتى نسي من كنّا ننتظرهم انتظارنا لهم.
لكأنّ في قلب كلّ امرأة مرفأ أو محطّة قطار أو قاعة في مطار، تقيم فيها أثناء إقامتها في بيت آخر. فتصفر القطارات و ترحل البواخر و تقلع الطائرات ويعبر القادمون و يمضي المسافرون و هي دون وعيها في انتظار الذي يأتي و لا يأتي...

نصيحة:

قليلًا من الواقعيّة. العمر أقصر من أن تقامري به في (روليت) الانتظار.
الذي لا يعود بعد يوم لن يعود أبدًا. وربما كان هذا أفضل .
من أدراك لعل في غيابه من حياتك حكمة الاهية ستدركين لاحقا نعمتها .
أوّل قرار: إغلاقك كلّ قاعات الترانزيت في حياتك.
لا تتركي مقعدًا تجلسين و تنسين نفسك عليه. انتظري واقفة كي تذكّرك ركبتاك بنفاذ الوقت، و نفاذ قدرتك على الوقوف. فالذي تنتظرينه ربما كان أثناء ذلك ممدّدًا أو نائمًا. أقصد

نائمًا مع غيرك. و قد يكون تزوّج و رزق منها صغيرات و صغارًا... أثناء عقد قرانك على الانتظار !

***

كثير من الناس يعيشون طويلًا في الماضي، و الماضي منصّة للقفز لا أريكة للاسترخاء.

توفيق الحكيم

لا تبحثي بعيدًا!

أحببت من أجله من كان يشبهه   و كلّ شيء في المعشوق معشوق

في محاولته لنسيانك لن يذهب أبعد منك . فلا تبحثي بعيدا .
إنّه مع أقرب صديقة لك. أو مع عدوّتك اللدود حسب الخيار المتوفّر و حسب درجة حنينه إليك أو كرهه لك.
في الأولى امتداد لك و تنكيل بك. إنّها الطعنة الأكثر إيلامًا و لو استطاع لخانك مع أختك أو أمّك.
في الثانية تحالف مع عدوّتك بحثًا عن امرأة تزايد عليه تشويهًا لصورتك. سيسعد لأنّها بكرهها لك تطمئنه إلى صواب قراره في التخلي عنك. أو تخفّف إحساسه بالخسارة إن كنت من تخلّى عنه. في كل علاقة نسائية سيتغذّى بكلّ ما يشبهك... و ما يؤلمك.
إن لم يعثر على هذه و لا تلك. سيسعى لحبّ امرأة من بلادك.. و ربما من مدينتك و من منطقتك لها لهجتك و لما لا.. تحترف مهنتك !
ستنصب له الذاكرة كمائن في كل امرأة لها شيئ منك أو تذكره بك . سيرى في ذلك اشارة حب سماوية , فيلحق بنبي جديد معتقدا انه ارتد بذلك عنك . في الواقع هو لم يغير ديانته ولا مذهبه غير فقط وجهة قبلته .
لا تهتمّي ما دمت الأصل لكلّ نسخة مقلّدة يهجس بامتلاكها!.

لا تسقطي عنه ديون انتظارك...

الذي لا يعتبرك رأس مال، لا تعتبره مكسبًا

ايزنهاور

لا تسقطي عنه ديون انتظارك السابقة، فهو ليس " عالمًا ثالثًا ". لقد كان يومًا عالمك الأوّل. بل كلّ عالمك.
إن أعفيته من جريمة هدر ما مضى من سنين عمرك، تكونين قد أعطيته حقّ استباحتك من جديد وهدر عمرك الآتي.
كوني ضنينة عندما يتعلّق الأمر بالوقت. فرصيدك منه كأنثى سريع النفاذ. وقتك لا يقاس بعملة وقته ولا صبرك يزن وزر صبره. لكنّ حسابك يصبّ في حسابه. ما سيأخذه من خزينة قلبك سينتهي في أرصدته الخاصة التي أمام أوّل بوادر أزمة عاطفيّة ستنهار الانهيار الشاهق لبورصة " وول ستريت "... أيّام الهزّات الماليّة العالميّة الكبرى.

كـــلّ دفـــاتر تـــوفيرك المضــــني لامـــتلاك " بيـــت الأحـــلام " قـــد ذهبـــت مـــع الـــريح و تبخّـــرت بفعـــل الإفـــلاس المفـــاجئ لمصـــرفه. أنـــت لـــم تضـــاربي فـــي أســـواق البورصـــة العاطفيّـــة. لقـــد وضـــعت كـــلّ مـــدّخرات عمـــرك فـــي مصـــرف صـــغير يـــديره " رجـــل واحـــد" ائتمنتـــه علـــى آمالـــك. مـــا ظننـــت العواطـــف ســـوقًا ماليّـــة قـــد تنهار كقصور ورقيّة. لكن عليك الآن أن تصدّقي ذلك !

نصيحة:

أمّـــا و قـــد خســـرت كـــلّ شـــيء.. و رأيـــت بـــأمّ عينـــك كـــلّ مـــا جمعتـــه فلسًـــا، فلسًـــا، يومًـــا بعـــد يـــوم علـــى مـــدى أعـــوام مـــن الـــوهم العشـــقيّ يتبخّـــــر، و معـــــه مـــــدخراتك العاطفيّـــــة. تعلّمـــــي بعـــــد الآن مـــــن المصـــــرفيّين درسًـــــا هامًـــــا. لا تســـــتثمري كـــــلّ مـــــدّخراتك فـــــي بنـــــك العواطف .
فربمـــــا كـــــان بنكًـــــا وهميًّـــــا، أسّســـــه مضـــــارب يلعـــــب فـــــي ســـــوق الأســـــهم بصـــــغار المســـــتثمرين و بالغبيّـــــات مـــــن النســـــاء اللّـــــائي يصـــــدقن العثـــــور علـــــى " الطـــــائر النـــــادر " بـــــين الرجـــــال، و جاهزات أن يدفعن عمرهن من أجله.
لـــتكن لـــك ســـلّة عمـــولات. احمـــي نفســـك بعمـــولات احتياطيّـــة يديرها العقل لا القلب.
فمـــن يملـــك اليـــوم عملـــة واحـــدة، و وجهًـــا واحـــدًا خاســـر لا محالـــة. تحتـــاجين أيضًـــا إلـــى عـــدّة ألســـنة للكـــذب و النفـــاق و الغـــش، فـــلا أحـــد سيصـــدّق صـــدقك، أو يـــثمّن وفـــاءك للأمانـــة، يلزمـــك

عزيزتـــي ســلّة أقنعــة تتعــاملين بهــا مــع الرجــل الــذي تحبّــين. فهــو يملك أقنعته حتمًا!

***

الأمــس هــو شــيك ملغــى، و غــدًا هــو شــيك مؤجــل. و اليــوم فقــط هو النقود التي تملكها فأنفقها بحكمة.

كاي لينوس

لا تبكي إلّا رجلًا واحدًا في حياتك...

"الإنسان في حبّه الأوّل يبحث عن حبيب.. و في حبّه الثاني يبحث عن الحبيب نفسه"

المرأة تأتي مرة واحدة في حياة الرجل. و كذلك الرجل في حياة المرأة. و كلّ القصص الأخرى هي محاولات للتعويض فحسب.
اسألي نفسك أيّ رجل هذا الذي تبكين. الأصل أم نسخة مزورة عنه. إن كان الثاني فسيمكنك ما حييت العثور على نسخ أخرى منه.
أمّا إن كان حبّ حياتك فعزاؤك أنّك لن تعرفي حزنًا بعد حزنه. كلّ فراق بعده سيبدو صغيرًا. كلّ جرح بعد جرحه سيلتئم. لقد دفعت ضريبة العواطف الشاهقة الكبيرة.
و بعد هذا الرجل لا رجل سيستطيع الوصول بك حزنًا إلى مشارف الموت. وهذا في حد ذاته خبر يستحق التفاؤل . أنت لن تبكين بحرقة سوى رجل واحد في حياتك .

* * *

أن تكون أول حبيب للمرأة .. لا يعني شيئا ، ينبغي أن تكون حبيبها الأخير ففي ذلك كل شيئ .

دوناي

إنّه "التستوستيرون" يا عزيزي !

أصعب الألم أن يكون آخر الحلول جرح من تحبّ!

الفقيد الجميل طلال الرشيد

غالبًا ما أثناء دفاعنا عن الحبّ نرتكب في حقّ من نحبّ أخطاءً لا تغتفر. نقول كلامًا جارحًا عكس الذي نودّ قوله. نهدّد بما ندري أنّنا لن نقدم عليه. ندّعي قيامنا بما لم نفعل.
أمام الخوف من الفقدان، أو تحت تأثير نيران الغيرة، لا عاشق يشبه نفسه. و بقدر قوّة الحبّ يكون عنف العاشقين.
أنت تعذّب الآخر لأنّك تتعذّب به. و أنت تتعذّب به لأنّك ما زلت تحبّه. و كان أسهل أن تقول له هذا. لكن تجد نفسك تقول له العكس تمامًا لتؤلمه.
و برغم ألمه و عذابه بك سيقلب اللعبة و يعطيك إحساسًا أن لا شيء مما قلته آلمه. و حينها يصبح هدفك أن تدميه. فتقول كلامًا يدميك أنت، و تندم عليه. و سيردّ عليك بما يتركك تنزف لأيّام.. بينما هو ينزف بك على الطرف الآخر!
أمام هذه العواطف الفوّارة المدمّرة لكلا العاشقين. يصبح الفراق نوعًا من القتل الرحيم.
ذلك الحبّ الذي ولد في لحظة شاعريّة. وسط الانبهار و الدوار و رجفة البوح الأوّل. ذلك الحبّ الذي توقفت الكرة الأرضيّة عن الدوران اندهاشًا بحدث قدومه. هو الآن إعصار لا يبقي على شيء قائمًا. يقتلع في طريقه كلّ ما كان جميلًا في حدائق الحبّ. و يترك قلوب العشاق للعراء.
رجاء... أوقفي المجزرة. لا تدمّري بيدك أجمل ما أهدتك الحياة من ذكريات. لا تتراشقي معه بالكريات المحرقة للغيرة. إنّه الرجل الذي أحببت. الذي كان أنت، قبل أن.... .
فليكن، دعيه يمضي بسلام. ستحكم بينكما الأيّام.

فــي هـــذا الموقـــف بالـــذات اختبـــري طينتـــك، قـــوّي إرادتـــك.. و قـــاومي نزعتـــك الأنثويّـــة للشراســـة حتـــى و إن كانـــت الأســـباب محض هرمونيّة!

بمـــا أننـــي أشـــتمّ رائحـــة رجـــال يتجسّـــون علينـــا بـــين الصـــفحات. ســـأتوجّه إلـــيهم مباشـــرة لأوضّـــح أن عدوانيّـــة المـــرأة لا تعـــود غالبًـــا لمزاجهـــا الســـيء بـــل لأنّ الحـــبّ يجعلهـــا كـــذلك. و هـــذا حســـب دراســـات علميّـــة تجـــزم أنّـــه عنـــدما تحـــبّ المـــرأة ترتفـــع لـــديها نســـبة هرمـــون " التستوســـيترون " الـــذكري المـــرتبط بالنزعـــة العدوانيّـــة. (ربمـــا نـــبّهكم هـــذا الاكتشـــاف إلـــى عـــدم الثّقـــة بـــامرأة تلاطفكـــم و تســـايركم و تـــوافقكم علـــى كـــلّ شـــيء. و طمـــأنكم بالمقابـــل لصـــدق عواطـــف نســـاء بطبـــاع عربيّـــة شرسة !)

هـــذه الدراســـة نفســـها توصّـــلت إلـــى أنّ الرجـــال حـــين يقعـــون فـــي الحـــبّ تتراجـــع لـــديهم مســـتويات " التستوســـتيرون " إيّـــاه فيصـــبحون لطفـــاء و رقيقـــي المشـــاعر و عـــاطفيّين. و مرهفـــي الحـــسّ. و قبـــل أن تصـــدر هـــذه الدراســـة. كـــان رولان بـــارت قـــد قال " عندما يحبّ الرجل يدخله العنصر الأنثويّ ".

هـــل علينـــا أن نســـتنتج أنّ رجلًـــا أصـــبح فجـــأة عنيفًـــا و ذكوريًّـــا فـــي معاملته لنا هو رجل توقّف عن حبّنا ؟

و هـــل علـــى الرجـــال أن يـــدركوا أنّ امـــرأة مـــا عـــادت تـــردّ علـــى رســـائلهم الهاتفيّـــة بعنـــف و شراســـة بـــل بـــأدب و لطـــف. هـــي امـــرأة قرّرت أن تهدي شراستها لرجل آخر ؟

ليسعد الرجل بالحبّ المضاد الذي تشهره عليه امرأة. لا يكون الحبّ أصدق منه إلّا لّحظة يطلق فيها عليك نار الكلمات كيفما اتفق.

ذات يوم ستتوجّه الطلقات لصدر رجل غيره. لكنّ القتيل سيكون هو المتمنّي طلقة تحييه.. لولا أنّه سبق للنسيان أن قتله في قلب تلك المرأة !

*   *   *

عندما تكره المرأة رجلا لدرجة الموت .. فاعلموا أنها كانت تحبه لدرجة الموت .

مارك توين

كما ينسى الرجال

أفضل ما يمكن توقعه من الرجال هو النسيان

فرانسوا مورياك

عـــاودتني تلـــك الأمنيـــة ذاتهـــا: ليـــت صـــوتها يبـــاع فـــي الصـــيدليات لأشـتريه. إننـــي أحتـــاج صـوتها لأعـيش. أحتـــاج أن أتناولــه ثـلاث مـرات فـي اليـوم. مـرّة علـى الريـق، ومـرّة قبـل النـوم، ومـرّة عنـدما يهجـم علـيّ الحزن أو الفرح كما الآن.

أيّ علـم هـذا الـذي لـم يسـتطع حتـى الآن أن يضـع أصـوات مـن نحـبّ فـي أقـــراص، أو فـــي زجاجـــة دواء نتناولهـــا ســـرًّا، عنـــدما نصـــاب بوعكـــة عاطفيّة بدون أن يدري صاحبها كم نحن نحتاجه.

عابر سرير

ذلك الصمت الآثم للرجال

"ما عاد بإمكاننا أن نتحدّث مع من نحبّ و ليس هذا بالصمت"

رينيه شار

إن كان سلاح المرأة دموعها. أو هكذا يقول الرجال الذين ما استطاعوا الدفاع عن أنفسهم بمجاراتها في البكاء. فقد عثر الرجل على سلاح ليس ضمن ترسانة المرأة. و لا تعرف كيف تواجهه لأنّها ليست مهيّأة له في تكوينها النفسي. لذا عندما يشهره الرجل في وجهها يتلخبط جهاز الالتقاط لديها و يتعطّل رادارها. إنّها تصاب بعمى الأنوثة أمام الضوء الساطع لرجل اختار أن يقف في عتمة الصمت.
لا امرأة تستطيع تفسير صمت رجل. و لا الجزم بأنّها تعرف تماماً محتوى الرسالة التي أراد إيصالها إليها. خاصة إن كانت تحبّه. فالحبّ عمًى آخر في حدّ ذاته. (أمّا عندما تكفّ عن حبّه فلا صمته و لا كلامه يعنيانها و هنا قد يخطئ الرجل في مواصلة إشهار سلاحه خارج ساحة المعركة على امرأة هو نفسه ما عاد موجودًا في مجال رؤيتها !) كما أنّ بعض من يعاني من ازدواجيّة المشاعر يغدو الصمت عنده سوطًا يريد به جلدك فيجلد به نفسه.
تكمن قوة الصمت الرجالي في كونه سلاح تضليلي. إنه حالة التباس كتلك البدلة المرقطة التي يرتديها الجنود كي يتسنّى

لهـم التلاشـي فـي أيّـة سـاحة للقتـال. إنّهـم يأخـذون لـون أيّ فضـاء يتحرّكون فيه.
إنّـه صـمت الحربـاء.. لـو كـان للحربـاء صـوت. تقـف أمامـه المـرأة حـائرة. تتنـاوب علـى ذهنهـا احتمـالات تفسـيره بحكـم خدعة الصمت المتدرّج في ألوانه من إحساس إلى نقيضه.
صـمت العشـق.. صـمت التحـدي.. صـمت الألـم.. صـمت الكرامـة.. صـمت الإهانـة.. صـمت اللامبـالاة.. صـمت التشـفي.. صـمت مـن شـفي.. صـمت الـداء العشـقي.. صـمت مـن يريـد أن يبقيـك مريضًـا بـه.. صـمت مـن يثـق أنّـه وحـده يملـك دواءك.. صـمت مـن يـراهن علـى أنّـك أوّل مـن سيكسـر الصـمت.. صـمت مـن يريـد كسـرك.. صـمت عاشـقين أحبّـا بعضـهما حـدّ الانكسـار.. صـمت الانتقـام.. صـمت المكـر.. صـمت الكيـد.. صـمت الهجـر.. صـمت الخـذلان.. صـمت النسـيان.. صـمت الحـزن الأكبـر مـن كـلّ الأحـزان.. صـمت التعـالي.. صـمت مـن خانـك.. صـمت مـن يعتقـد أنّـك خنتـه و يريـد قتلـك بصـمته.. صـمت مـن يعتقـد أنّـك سـتتخلّين عنـه يومًـا فيتركـك لعـراء الصـمت.. الصـمت الوقـائي.. الصـمت الجنـائي.. الصـمت العاصـف.. و الصـمت السـابق للعاصـفة.. صـمت الانصـهار و صـمت الإعصـار.. الصـمت كمـوت سـريري الحـبّ.. و الصـمت كسـرير آخـر للحـبّ ينصـهر فيـه عاشـقان حتـى المـوت.. الصـمت الـذي لـيس بعـده شـيء.. و الصـمت الـذي ينقـذ ذلـك "الشـيء" و منـه تولـد الأشـياء مجـدّدًا جميلـة و نقيّـة و أبديّة بعد أن طهّرها الصمت من شوائب الحبّ.

الصمت اختبار، طوبى لمن نجح فيه مهما طال. إنّه يفوز إذن بالتاج الأبدي للحبّ.. أو بإكليل الحريّة.

نصيحة

تعلّمي أن تميّزي بين صمت الكبار و الصمت الكبير. فصمت الكبار يقاس بوقعه، و الصمت الكبير بمدّته.
الكبار يقولون في صمتهم بين جملتين أو في صمتهم أثناء عشاء حميم ما لا يقوله غيرهم خلال أشهر من الصمت. ذلك أنّ الصمت يحتاج في لحظة ما أن يكسره الكلام ليكون صمتًا.
أمّا الصمت المفتوح على مزيد من الصمت، فهو يشي بضعف أو خلل عاطفيّ ما يخفيه صاحبه خلف قناع الصمت خوفًا من المواجهة. وحده الذي يتقن متى يجب كسر الصمت. و ينتقي كجوهرجي كلماته بين صمتين يليق به صمت الكبار.
تعلّمي الإصغاء إلى صمت من تحبّين، لا إلى كلامه فقط. فوحده الصمت يكشف معدن الرجال.

في مواجهة سياسة التجويع الهاتفي

و عندما سينتهي من تلميع حذائه
بكحل بكائك
و بعدما يتعطّر
منعا لعرق الذّكريات
قد يتذكّر...
و يهاتفك..سيّد الهاتف!

ذات يـوم دون إنـذار سـيعلن عليـك الهـاتف الإضـراب العـاطفي المفتـوح.. و بعـد و لائـم الحـبّ و كـلّ أطبـاق الأشـواق الدسـمة. التـي كـان يمـدّ موائـدها لـك حـدّ إصـابتك بالتخمـة و بـالطفرة العاطفيّـة. عليـك الآن أن تختبـري " الـريجيم الهـاتفي " و " الطفرة " بما تعنيه الكلمة لبنانيًّا.
أنـت طفرانـة و جوعانـة.. أيّ فقيـرة إلـى " يونيـت " هاتفيّـة واحـدة منـه تسـدّين بهـا رمقـك. سـتنامين كـلّ ليلـة علـى جوعـك. تطبخين حصى الأمنيات كما تلك الأعرابيّة، كي تغفي.
أنـت لا تملكـين القـوّة بعـد و لا تـدرين كـم سـتدوم مـدّة تجويعـك.. و إعـلان الحصـار الغـذائي عليـك. لكـي تأخـذي قـرار أن تكـوني مـن يسـحب المصـل الهـاتفي الـذي عشـت معلّقـة إليـه أشـهرًا، و تمّ إغلاقه بنيّة قتلك.

لكـــن مـــع الوقـــت ستســـتيقظين، و تأخـــذين قـــرار اقـــتلاع ذلـــك المصـــل الموصـــول بقلبـــك. و تعـــودين إلـــى الحيـــاة.. بـــبعض الضـــمادات حيـــث كـــان موقـــع الجـــرح. و ترفضـــين الحيـــاة تحـــت رحمة دقّة هاتفيّة.

برافـو يـا شـاطرة. لـم يخلـق الرجـل الـذي يهـديك " دقّـة الرحمـة " كنوع من الموت الرحيم.

ليذهب إلى الجحيم!

***

"النساء كالقطط يقعن دائما على قوائمهن"

تلك الآلة التي تهيننا

"في القرن العشرين الحبّ هو هاتف لا يدقّ"

قول لكاتب فرنسي

و ماذا لو أن المشكل بدأ يوم نسي الناس في هذا الزمن المسرع المجنون لغة العيون. التي كانت لغة الإنسان الأولى لنقل أحاسيسه للآخر. حتى في الأفلام ما عاد الناس ينظرون إلى بعضهم البعض مطوّلًا تلك النظرات المؤثرة.. الآسرة.

أذكر الصديق الكبير نور الشريف الذي قال لي مرة " الممثل الحقيقي هو الذي تقول عيناه الجملة قبل أن يلفظها..حتى أنّه أحيانًا لا يحتاج إلى قولها ". لكأنّه كان يتحدّث عن العاشق.

اليوم بالذات قرأت مقابلة للمخرج الأمريكي الكبير ستيفن سبيلبرغ يقول فيها:

" يوم نتوقف عن الكلام بالعيون. ستكون نهاية المجتمع ".

أنكون انتهينا لأنّنا بدأنا نتكلّم لغة التلفون.. و لغة التلفزيون و لغة الانترنت و نتبادل الأشواق عبر الرسائل الهاتفيّة و التلفزيونيّة.. و من خلال " الشات ". دون أن نرى عيون من نتحدّث إليه. و لا هو يرى عيوننا. جميعنا عيوننا على الشاشة. و قلوبنا جميعها معلّقة بجهاز يتحكّم في مزاجنا و أحاسيسنا .

. مـــا عـــاد تعريـــف الحـــبّ اليـــوم "إثنـــان ينظـــران فـــي الاتجـــاه نفســـه" بـــل اثنـــان ينظـــران إلـــى الجهـــاز نفســـه. و لا صـــارت فرحتنا في أن نلتقي بمن نحبّ. بل في تلقّي رسالة هاتفيّة منه.

ماتـــت الأحاســـيس العاطفيّـــة الكبيـــرة. بســـبب تلـــك "الأفـــراح التكنولوجيّـــة" الصـــغيرة التـــي تـــأتي و تختفـــي بـــزرّ منـــذ ســـلّمنا مصيرنا العاطفي للآلات.

انتهى زمن الانتظار الجميل لساعي البريد.

صندوق البريد الذي نحتفظ بمفتاحه سرا , ونسابق الأهل لفتحه .

الرسائل التي نحفظها عن ظهر قلب و نخفيها لسنوات . الأعذار التي نجدها لحبيب تأخرت رسالته أو لم يكتب الينا .

اليوم ندري أن رسالته لم تته .. ولا هي تأخرت .

بامكاننا أن نحسب بالدقائق وقت الصمت المهين بين رسالة .. والرد عليها !

ظاهرة الاختفاء المفاجئ لدى الرجال

قل يا رجل...
إلى أيّة غيمة تنتمي شفتاك
إلى أيّة أعاصير تنتمي يداك
صوب أيّة وجهة تمضي نواياك
كي أسافر في حقيبة مطرك
و أحطّ حيث تهطل

سيختفي. توقعي ذلك منذ أوّل ظهور له في حياتك.
الرجل نجم مذنّب يختفي من سمائك دون أيّ إنذار من أيّ مرصد جويّ. عليك آنذاك أن تتحوّلي إلى منجّمة. أو تتعلّمي الضرب بالرمل و خلط الحصى. فمهم جدًّا حال دخولك في علاقة عاطفيّة أن تكون لك دراية بالتنجيم. فالتفكير المنطقي لا يساعدك بتاتًا على العثور على الأجوبة التي ستؤرّقك لاحقًا.
كالبصارات على أيام أمّك لا على أيام التنجيم بالكمبيوتر عليك ربط رأسك و الجلوس أمام كرة من البلور لمتابعة

حركـــــة المجــــرات و الكواكـــــب التـــــي تــــدور حولهـــــا النجـــــوم " المذنّبة " الرجالية.
أو حســـــب وصــــفة نســــائيّة عربيّــــة " لضـــرب الخفيـــف "، أذيبـــي قطعـــة رصـــاص فـــي وعـــاء حديـــدي صـــغير و عنـــدما تتحـــوّل إلـــى ســـائل فضـــي، ضـــعي بـــين رجليـــك مهراسًـــا حديـــديًّا فيـــه مـــاء أحضـــرته مـــن البحـــر و ارمـــي الســـائل فـــي المهـــراس. ســـيتطاير المـــاء بقـــدر مـــا فـــي حياتـــك مـــن شـــرّ و حســـد و يتجمّـــد الســـائل آخـــذًا أشـــكالًا عجيبـــة. عليـــك فـــكّ طلاســـمها و مســـاءلة أصـــغر تفاصـــيلها و نتوءاتها.
" أيــــن اختفـــــى المخلـــــوق؟ "، " و لا قــــدّر الله مــــع مــــن؟ " أو اقلبـــي فنجـــان قهوتـــك و ســـائليه " متـــى تنقلـــب الأيـــام عليـــه فيعـــود ؟ ".. و لأن لا درايـــة لـــك بالخلطـــات الســـحرية و لـــم يمـــنّ الله عليـــك إلّـــا بالأســـئلة.. أمّـــا الأجوبـــة فهـــي فـــي علـــم الغيـــب و لـــدى أطبـــاء علـــم الـــنفس الرجـــالي. فستقضـــين أيامًـــا منهمكـــة فـــي اســـتعادة كـــلّ كلمـــة قالهـــا أو قلتهـــا خـــلال آخـــر اتصـــال هـــاتفي. عســـاك تعثـــرين علـــى " كلمـــة الســـر " التـــي اختفـــى بعـــدها عـــن مجال الرؤية.
يلزمـــك الصـــندوق الأســـود الـــذي وحـــده يحمـــل ســـرّ اللحظـــات الأخيـــرة فـــي كـــلّ كارثـــة جويّـــة. هـــل الســـبب خطـــأ " إنســـاني " أم " خلـــل تقنـــي " فـــي اخـــتلال العلاقـــة ؟ نفـــاذ وقـــود الحـــبّ ؟ الاصطدام القدري بحبّ آخر تخبئه لك أم له الأيام ؟

نصيحة:

لا تســـتنزفي نفســـك بالأســـئلة كـــوني قدريّـــة. لا تطـــاردي نجمًـــا هاربًا فالسماء لا تخلو من النجوم.

ثمّ ما أدراك ربما في الحبّ القادم كان من نصيبك القمر !

دعي هذا الأرنب يهرب!

لا سبيل للرجل كي ينتصر على المرأة إلّا بالفرار منها

جون باري مور

اعلمــي يرحمــك الله أنّ الرجــل أرنــب أمــام أوّل مواجهــة يهــرب. لأنّــه لا يملــك تبريــرًا لأيّ تصــرّف و لا أيّ جــواب علــى أسئلتك الكثيرة. في الهروب مخرج مشرّف له.

يكفــي أن يســمّي ذلــك انســحابًا. هــذا مــا يقولــه لنفســه وعليــك أنــت أن تســمّي ذلــك مــا شــئت فهــو لــن يكــون هنــا لمناقشــتك فــي تعريف الأشياء.

أيــن يهــرب؟ اطمئنــي هــو لا يهــرب دائمًــا إلــى امــرأة أخــرى. فــي البدء كحيوان مطارد أو حيوان جريح سيهرب إلى مغارته.

يســتعيد نفســه و أنفاســه يرتّــب أوراقــه يبــتهج بحرّيتــه و بإنقــاذه رجولتــه ممــا يــراه " فخًّــا نســائيًّا " أو عاطفيًّــا. لكنّــه لــن يكــون ســعيدًا تمامًــا. يلزمــه بعــض الوقــت ليصــمد فــي وجــه ريــاح الحنين التي تعود به إلى الوراء.

بعــدها ســتعود لــه الــروح تــدريجيًّا و تبــدأ أطرافــه فــي التحــرك كحشــرة مقلوبــة علــى ظهرهــا ســيتخبّط بعــض الوقــت بحثًــا عــن امــرأة أخــرى تســاعده علــى الوقــوف علــى قوائمــه. و عنــدما ســيجدها " أعنــي عنــدما ســتجده " ســتراوده المخــاوف نفســها و يكرّر معها سياسة الأرنب.

نصيحة:

لا تحزنـــي علـــى أرنـــب فـــرّ خـــارج حياتـــك. إنّ رجلًـــا هـــرب مـــرة.. سيهرب كلّ مرّة من كلّ امرأة !

الرجل.. هذا الكائن الذي لا يعتذر!

في الأمور العظيمة يتظاهر الرجال كما يحلو لهم. و في الأمور الصغيرة يبدون على حقيقتهم.

شامبور

يحتاج الرجل العربيّ أن يضعك في قفص الاتهام كي يمنّ عليك بالعفو، و يكون حينها "سيّدك".

الرجل حاكم عربيّ صغير لم تسمح له الظروف أن يحكم شعبًا. لكن وضعك الله في طريقه. و أنت شعبه.

و عليك أن تعرفي إذن أنّك لن تسمعي منه كلمة اعتذار ما حييت... و مهما اقترف من أخطاء في حقّك. لقد أهدر سنوات من عمرك - و ربما عمرك - و بدّد طاقتك للعمل، و اغتال ما كان يمكن أن يكون أكبر انجازاتك. و سطا على رصيدك العاطفيّ و على بنك أحاسيسك و راح يبدّرها هكذا على مرأى منك. لن تستطيعي برغم ذلك محاسبته.

هل حاكم شعب عربيّ واحد، حاكمًا على تبذيره، و سوء تصرفه بثروة ليست من خزانة أبيه ؟ لا تنتظري منه أيضًا اعتذارًا، هل أنت لا قدر الله مواطنة أوروبيّة أو أمريكيّة لتطالبي رجلًا بأن يعتذر لك لأنّه كذّب عليك أو خان وعوده الانتخابيّة (أيام الخطوبة) أو اختلس أحلامك و أنفقها على

أخـــرى و مســـكته بـــالجرم المشـــهود كمـــا أمســـكت الصــحافة ببيــل كلينتون متلبسًا بتدريب مونيكا في البيت الأبيض.
أنــت تنعمــين بحــبٍّ ديمقراطــيّ. تملكــين فيــه حــقّ الاســتماع لرجــل بــدل أن يعتــذر عــن ظلمــه لــك و ســوء ظنّــه بــك، ينتظــر اعتــذارك عـــن أمـــر لا علـــم لـــك بـــه. وليـــد ظنونـــه و مخاوفـــه الرجاليـــة و شـــكوكه، فككـــلّ حـــاكم عربـــيّ أيضًـــا العاشـــق العربـــيّ " مشـــكاكًا " و لا يتوقـــع إلّـــا المكائـــد، و الخيانـــات مـــن أقـــرب الناس إليه.
تـــوقّعي أن يقاصصـــك أســـابيع طويلـــة و أشـــهرًا إلـــى أن تستســـلمي راكعة له.

نصيحة:

كـــلّ دفـــاع منـــك ســـيوظّف ضـــدّك. أصـــمتي... لا تقســـمي أو تبكـــين فتضعي نفسك في موقف المتهم.
أنــت تؤكّــدين لــه بتصــرفّك هــذا أنّــه علــى حــقّ و أنّــك مذنبــة. خاصّـــة أن لا جـــدوى مـــن الكـــلام. لا شـــيء ممّـــا تقولينـــه سيصـــدّقه.
هل يصدّق طاغية من يقول له أنّه يحبّه ويخلص في حبه ؟
ابتعـــدي عـــن رجـــل لا يملـــك شـــجاعة الاعتـــذار, حتـــى لا تفقـــدي يومًـــا احتـــرام نفســـك و أنـــت تغفـــرين لـــه إهانـــات و أخطـــاء فـــي حقّـــك، لا يـــرى لـــزوم الاعتـــذار عنهـــا. ســـيزداد تكـــرارًا لهـــا.. و احتقارًا لك.
لـــو عـــرف الرجـــال عظمـــة رجولـــة تعتـــرف بالخطـــأ، لتجمّلـــوا بالاعتذار.

+ بهـــذه الصـــفة بالـــذات يقـــاس الســـموّ الخلقـــي لرجـــل، يـــرى فـــي اعترافه بالخطأ فضيلة لا إنقاصًا من كرامته.

ليس الحبّ و إنّما النسيان هو رجل حياتك

"الحبّ يقتل الوقت.. و الوقت يقتل الحبّ"

نقضـــي عمرنـــا فـــي التغـــزّل بالحـــبّ، و التجمّـــل اســـتعدادًا لــــه. و التضـــحية فـــي ســـبيله حـــين يجـــيء.. و التـــأقلم مـــع مزاجـــه المتقلّـــب و تجميـــل كوارثـــه، و التغاضـــي عـــن عواقبـــه.. و عـــن عيوبه.

نعـدّ لـه أجمـل غرفـة فـي قلبنـا. ثـمّ لا نلبـث أن نسـلّمه قلبنـا شـقّة مفروشـــة. و نهـــيم مشـــرّدين دون مـــأوى. الحـــبّ احـــتلال نرضـــى بـــه، نطالـــب بـــه محتلّـــا و مســـتبدًّا. لاعتقادنـــا أنّـــه رجـــل حياتنـــا الأمثل و الأشهى و الأبقى.

ثـمّ مقابـل أيّـام مـن السـعادة نـدفع الـثمن أشـهرًا و أعوامًـا مـن الشـقاء.. فـلا أحـد قـال لنـا أنّ الحـبّ عـابر سـبيل يمـرّ بنـا و يواصـل طريقـه مـن دوننـا مهمـا طـال المشـوار. [بينمـا النسـيان هـو المقـيم فـي أيامنـا و سـريرنا و مفكّرتنـا إنّـه رجـل حياتنا].

إن كـان الأمـر كـذلك.. لمـاذا إذن لا نسـتعد لـه و نتجمّـل لـه و نحتفـي بـه و نـدلله و هـو سـندنا الحقيقـي و الوحيـد فـي هـذه الـدنيا. عنـدما نفكّـر بمنطـق ألا نشـعر بالحيـاء لأنّنـا مقصّـرون تجاهـه . يكفـي أنّنـا أوجـدنا للحـبّ عيـدًا. و نسـينا أن نحتفـي بالنسـيان بـرغم كونـه مـن يـأتي كـلّ مـرة لنجـدتنا مـن ظلـم الحـبّ.

إن كـــان للحـــبّ يـــوم فـــالمنطق يقتضـــي أن يكـــون للنســـيان موســـم أو فصل هو سيّده و مولاه.

مـــا دمنـــا غيـــر جـــادين فـــي ردّ الاعتبـــار للنســـيان ســـيظلّ الحـــبّ يســـتفرد بنـــا و يســـتقوي علينـــا و يـــدير فينـــا "كراعُـــو" كمـــا نقـــول فـــي الجزائـــر أيّ يعمـــل فينـــا مـــا يعملـــه الكلـــب بكعبـــه فـــي الأكـــل الـــذي يقـــدّم إليـــه فيقلـــب الإنـــاء و يخلـــط الطعـــام. و يعبـــث بـــه قبـــل أن يأكله.

بينمـــا يقـــدّم لنـــا النســـيان الأكـــل الصـــحيّ و ال "bio" حفاظًـــا علـــى صحّتنا. و إنقاذًا لنا من "سمّ البدن" العاطفي !

بلى.. أنت تستطيعين ذلك

"Yes we can"

الشعار الانتخابيّ لأوباما

المستقبل يملكه هؤلاء الذين يؤمنون بجمال أحلامهم

روزفلت

إن كان أوباما قد استطاع تحقيق معجزة تغيير وضعه التاريخي من سليل عبد إفريقي إلى رئيس يحكم أعظم دولة في العالم من بين مواطنيها من كانوا سادة أجداده. فأنت أيضًا تستطيعين التخلص من استعباد رجل لك و نسيان آثار قيده على معصمك. و الانطلاق نحو إنجازات حياتك.

الحريّة هي ألّا تنتظري أحدًا.

فما العبوديّة سوى وضع نفسك بملء إرادتك في حالة انتظار دائم لرجل ما هو إلّا عبد لالتزامات و واجبات ليس الحبّ دائمًا في أولويّاتها.

الحريّة أن تكوني حرّة في اختيار قيودك التي قد تكون أقسى من قيود الآخر عليك. إنّه الانضباط العاطفي و الأخلاقي الذي تفرضينه على نفسك. و تحرصين عليه كدستور.

الحرية هي صرامتك في محاسبة الذات و رفضك تقديم حسابات لرجل يصرّ أن يكون سيّدك و عزرائيلك الذي يملك جردة عن كلّ أخطائك و لا علم لك بخطاياه.

تعلّمي أن تفرّقي بين القيود و الأصفاد. أرفضي الأخيرة حتى و إن جاءتك من ألماس (كتلك التي أهداها أحد الأثرياء إلى حبيبته و صمّمت خصيصًا له مطابقة للأصفاد التي يضعها البوليسي في معصم الجناة).

فقبولك بها و لو عشقًا للحبيب ستقودك إلى دخول معسكرات الاعتقال العاطفي بشبهات لا علم لك بها، تعشّش في رأس سجّانك.

تذكّري أنّ القيد لا يحمي الحبّ بل يدمّره. لأنّه ليس دليلًا عليه بل دليل شك فيه. و أيًّا كان ولعك بسجّانك ذات يوم ستكسرين قيده.

فلا بدّ للّيل أن ينجلي و لا بدّ للقيد أن ينكسر

قال الشابي في رائعته " إذا الشعب يومًا أراد الحياة ".

أدركونا بفيل!

"علمتنـــــــــــــــي الــــــــــــدنيا
أن لـــــيس كـــلّ الـــذّئاب أعـــداء
و لا كـــــلّ العصـــــافير أصـــــدقاء
و لا كـــــلّ الأرانــــــب أليفـــــة،
و لا كـــــلّ الأســـــود مفترســـــة
أن لـــــيس كـــلّ الأطفـــال أنقيـــاء،
و لا كـــــلّ الثعالـــــب مـــــاكرة
و لا كـــــلّ العقـــــارب ســـــامّة،
و لا كـــــلّ الكـــــلاب أوفيـــــاء"

الكاتبـة الإماراتيّـة شـهرزاد

فـــي كتـــاب " الرجـــال و النســـاء " و هـــو كتـــاب جـــدلي حـــواري بـــين الكاتبـــة فرنســـواز جيـــرو و الفيلســـوف الفرنســـي برنـــارد هنـــري ليفـــي. يقـــول ليفـــي أن أروع مـــا قيـــل فـــي الإخـــلاص قـــرأه فـــي نـــصّ لفرنســـواز دي ســـال تقـــول فيـــه " إنّ الرجـــل يشـــبه الفيـــل الـــذي لا يرغـــب أبـــدًا فـــي تبـــديل الأنثـــى التـــي اختارهـــا. فهـــذا الحيـــوان الضـــخم الجثّـــة هـــو أجـــدر الحيوانـــات وفـــاءً علـــى الأرض. تصـــوّري زوجـــين يخلـــص أحـــدهما للآخـــر مخافـــة

السيدا. فأيّ قيمة لمثل هذا الإخلاص ؟ وحده إخلاص الصوفيين حقيقيّ. إنّهم مخلصون من الطراز الأوّل. لأنّهم يدركون ضعفهم و يعزمون على الصمود. و هذا أروع و أرقى أشكال الإخلاص ".

ملايين النساء في العالم يحلمن بأن يلتقين بهذا الصوفي الزاهد في كلّ نساء الأرض. و الذي لا يهجس سوى بامرأة واحدة. تلك التي اختارها حبيبة لمدى العمر.

و حتى لا نظلم الرجال نقول أنّ بينهم سادة في الوفاء. رجال أوفياء كأنبياء لرسالة. جميلون في تعفّفهم. كبار في عواطفهم. لولا أنّ تلك العواطف الكبيرة تولّد لديهم شكوكًا كبيرة أيضًا. إنّهم لا يثقون في عواطف الطرف الآخر. و لا يتوقّعون أنّ امرأة قد تضاهيهم إخلاصًا و تزيد.

هؤلاء - مع الأسف - غالبًا ما يصنعون عذابهم بأنفسهم و يخسرون حبّ حياتهم. ثمّ ينطفئون من الداخل إلى الأبد، لأنّهم خلقوا للحبّ الكبير. و يأبى قلبهم القبول بفتافيت العواطف. هم ليسوا عصافير إنّهم نسور. فالنسر هو الحيوان الآخر الّذي يكتفي بأنثى واحدة و يبقى مخلصًا لها ما دام حيًّا.

إن أهدتك الحياة هذا الطائر النبيل حبيبًا. إنّها فرصتك لتعيشي أسطورة الحبّ الكبير. حافظي عليه بالصبر على ظلمه. كذّبي شكوكه بالوفاء. اخلصي له مهما طال الفراق. فالطائر النبيل يعود دومًا.

أمّا إن لم تضع الحياة في طريقك سوى الخونة و الكاذبين من الرجال.. فأحبّي فيلًا !

صحيح أنّك ستحتاجين للسفر إلى الهند أو إلى أفريقيا للعثور على نصفك الآخر. لكن هل أنت واثقة من العثور على رجل وفيّ حيث أنت. فالوفاء في تناقص و غوايات الخيانة في ازدياد.

ثمّ أنت مع الفيل تضمنين إلى جانب إخلاصه عدم نسيانه لك. فالذاكرة هي الصفة الأولى التي يعرف بها الفيل (و هو ما لا يتوفّر في النسر).

تصوّري كم أنت محظوظة. بإمكانك أن تباهي أمام صديقاتك بأنّك عثرت على مخلوق وفيّ لن ينساك مدى الحياة، تهجس به جميع النساء !

أليس النسيان مأخذنا الأوّل على الرجال ؟

صدّقيني لا أرى غير الفيل لتحقيق مطالبنا.. أعني في حدود " إمكانياته " التي لن نذهب حدّ مطالبته باستعمالها جميعها !

نصيحة:

الحياة غابة. (أنفقت عمري قبل أن أكتشف ذلك !).

كلّما تقدّم بك العمر ازددت توغّلًا في الأدغال. و وجدت نفسك مضطّرة إلى التّعامل مع حيوانات بمظهر بشري. خاصة إن كنت امرأة فراشة. تخال العالم مرجًا من الزهور. عليك أن تأخذي علمًا بأنّ كلّ كائن ترينه سواء كان رجلًا أو امرأة يخفي كائنًا آخر.

إنّهم يختلفون فقط في الفصيلة التي ينحدرون منها. تجدين بينهم الحصان و الطاووس و الثعبان و الدولفين و الثعلب

و العقـــرب و الكنـــاري. و الكلـــب و القـــطّ و الفيـــل و الزرافـــة و الأســـد و الأرنـــب و الفـــأر و الخنزيـــر. و عليـــك أن تتعرّفـــي علـــى الجزئيّـــات الحيوانيّـــة التـــي فـــي كـــلّ واحـــد قبـــل أن تســـلّميه نفســـك. و قبـــل حتـــى أن تســـلّمي عليـــه. ربمـــا كـــان ضـــفدعًا وصـــنع من سلامك قصّة ينقّ بها في المستنقعات !

و ربمـــا خلتـــه نســـرًا و إذا بـــه مـــن فصـــيلة العقبـــان و الجـــوارح التي تترقب لحظة نهشك.

و ربمـــا خلتـــه دولفـــين و رحـــت تســـبحين معـــه و تلاعبينـــه و إذا بـــه ســـمكة قـــرش تفـــتح فكّيهـــا للانقضـــاض عليـــك. و ربمـــا خلتـــه كلبًـــا و إذا بـــه ذئـــب. أو ظننتـــه قطًـــا ســـيماويًّا و إذا بـــه يتحـــوّل فـــي بيتك إلى أسد متوحّش.

صـــار لزامًـــا علينـــا أن نـــتعلّم علـــم الفراســـة.. و نتـــابع بـــدل قنـــاة الجزيـــرة القنـــاة المختصّـــة بالحيوانـــات حتـــى لا نخطـــئ فـــي اختيار "حيوان" حياتنا.

كفانا صدمات !

كمائن الذاكرة

" الذاكرة أحسن خادم للعقل، والنسيان أحسن خادم للقلب "

هل تريدين النسيان حقًا؟

افتحي ذراعيك يا ذاكرتي فقد حان استقبال النسيان

ناديا تويني

مذ قرّرت نسيانه، ألم يجتاحك لا تعرفين مكمنه.
في أيّ مكان كان يقيم فيك هذا الرجل بالضبط إلى الآن لا تدرين. فكلّ شيء في جسدك يؤلمك مذ قرّرت ألّا مكان له بعد الآن في حياتك. تفهمين معنى قول نزار " أقصّ جذور هواك من الأعماق ".
الألم لا يوجد على السطح. إنّه في نهايات عصب الأعضاء. في مفاصلك و خلاياك.
كلّ ما فيك يبكيه و يحقد عليه. يبكيك و يتمرّد عليك. و أنت الخصم و الحكم. و القرار و الألم. و عليك أن تحسمي أمرك بحزم: هل تريدين النسيان حقًّا ؟ و حتى عندما تجيبين " بنعم " اسألي نفسك مجدّدًا على طريقة جورج قرداحي " هل هذا هو جوابك النهائيّ ". ففي هذا الموضوع بالذات. ستغيّرين جوابك أكثر من مرّة. حتى بعد انتهاء الوقت المحدّد.

ثـــــمّ.. فــــي هــــذا الســــؤال بالــــذات لا تســــتعيني بــــالجمهور و لا بصــــديقة. فلـــن يكونـــوا هنـــا حـــين ستخوضـــين ليلًـــا نهـــارًا أشرس معارك حياتك ضدّ الذاكرة. أيّ ضدّ نفسك.

مـــا تـــودّين القيـــام بـــه هـــو بالـــذات أن تبتـــري أجـــزاءً منـــك و أن تســـتبدلي بهـــا قطـــع غيـــار بشـــريّة جديـــدة لا علاقـــة لهـــا بمـــا فيـــك. و لـــيس علـــى قرصـــها المضـــغوط أيّـــة ذكريـــات. أيّ أنّـــك تريـــدين اســـتبدال الـــذاكرة بالنســـيان، الـــذي هـــو جســـم غريـــب عنـــك. لـــذا سيرفضـــه جســـمك فـــي البدايـــة. و تبـــدو عليـــك أعـــراض مـــرض عضوي و نفسي يرافق مثل هذه الحالات.

إن نويـــت علـــى النســـيان أدخلـــي المعركـــة و أعطـــي الوقـــت وقتًـــا. يحـــدث للجســـم أن ينســـجم حتـــى مـــع قلـــب اصـــطناعي يخفـــق فيـــه. ما أدراك ربما كنت أوّل عربيّة تنجح معها التجربة !

***

" يا كريم الغياب "

سعيد عقل

إنّ العطاء أحد ملذّات الحبّ، و أحد مقاييسه.
عندما يحبك رجل - أعني عندما يعشقك - يودّ لو اقتسم معك كلّ ما هو له. بل لو منحك كلّ ما يملك و غدا ضيقًا عليك لاعتقاده أنّه يقيم فيك و لا عقارات له في الدنيا سواك.
البعض يفوق كرمه جيبه. لأنّ يده تسابق قلبه. فيمنحك في أيام ما لا يمنحك آخر في سنوات. سيصعب عليك نسيان رجل كريم. (كما يصعب على رجل نسيان امرأة كريمة).
ستظلّ الأشياء بعده تذكّرك أنّه ترك شيئًا من قلبه في كلّ ما هو حولك. و أنّه لم يقصد بسخائه رشوة قلبك بل إسعادك لفرط سعادته بك.
لم تكن لهداياه مناسبة. المناسبة كانت الامتنان اليوميّ للحياة التي وضعتك في طريق قلبه. لكأنّه يريد تطويقك كي لا تلمسي أحدًا سواه أو شيئًا إلّا منه سواءً غلا أو رخص سعره.
لكأنّه يريد أن يحمل كلّ شيء عنك، كلّ هم يشغلك. لفرط تدفّقه سيفيض على كلّ شيء حولك، لا سدّ يقف في وجه رجل يحبّك بجنون. أخطر ما في هذا الرجل أنّه سيصبح عندك مرجعًا للحبّ. لا بمقياس جيبه بل بمقياس قلبه. فالهديّة

بقدر ما يبذل فيها المرء من نفسه، لا بقدر ما ينفق فيها من ماله. و ستتساءلين إن كان الذين مرّوا و لم يتركوا خلفهم شيئًا تلامسينه يشهد بمرورهم ببيتك و بخزانة ثيابك و بمواسم أعيادك قد أحبّوك حقًّا.

نصيحة:

ما كنت لتنتبهي أنّ رجلًا أحببته لسنوات، ما ترك شيئًا خلفه. لولا أنّك حين رحل و افتقدته بجنون، حاولت أن تستعيني على غيابه بأشيائه. فما وجدت شيئًا منه تلمسينه أو تلبسينه.
تمنيت لو أنّك ما ارتديت سوى ما أهداك. لو أحطت نفسك بأشيائه. فأيّ شيء منه كان يكفي ليغطّي احتياجاتك العاطفيّة لأشهر.
لكنّه تركك لعراء الأشياء. و عليك برغم ذلك أن تسعدي. لا شيء حولك أو فوقك سيذكّرك به أو يعذبك بذكراه. لا شيء ستلمسينه ستشمينه و تبكين. لا شيء سيتآمر معه عليك. و يوقظ فيك الحنين.
مع الوقت ستجدين عزاءك في غناك عنه. و الاستغناء بداية النسيان !
ربما ما كان بخيلًا و لا أنانيًّا. و ربّما كان سخيًّا بما هو أثمن من أن يُشترى، لكنّه ما كان معنيًّا بتطويقك به، بقدر ما كان مهتمًّا باستحواذه عليك.
تحكي سيّدة فرنسيّة أنّها عندما لم تجد شيئًا من الرجل الذي تخلّى عنها لتلمسه. ربّت قطًّا لعلمها أنّ له في بيته قطّة

متعلّق بها، و صارت تجلس القطّ في المكان الذي كان يجلس عليه حبيبها. كانت كلّما اشتاقته تضع القطّ في حجرها و تداعب فروه. فيستسلم القطّ لمداعبتها و يغفو. فتسعد حينًا.. و حينًا تبكي.

مع الوقت أصبح القطّ " رجل قلبها " يعرف خطوتها، ينتظر عودتها خلف الباب، يلاحقها من غرفة إلى أخرى. فتطعمه و تدلله وتحنو عليه فيردّ لها الكرم وفاءً و حنانًا.

عندما مات قطّنا قبل فترة. تذكّرت هذه السيّدة و تساءلت لو مات قطّها يومًا، أيّ الثلاثة ستبكي ؟ ذاتها.. حبيبها.. أم القطّ ؟ و من منهما مات قبل الآخر في قلبها ؟ و على من سيكون حدادها ؟

ثمّ.. أيّ الخيارين الأكثر خيانة للرجولة: أن تستعين امرأة على نسيان رجل برجل آخر ؟ أم أن تلجأ إلى قطّ لينسيها رجلًا بعدما لم تجد شيئًا منه يساعدها على انتظاره ؟

و أيّ زمن هذا الذي ينتهي فيه حبّ كبير إلى عواطف في عصمة قطّ ؟ فيخون الرجل العشرة، و تخلص المرأة لحيوان. !

* * *

"ليس ثمّة حبّ ثمّة براهين حبّ"

إنّه ينوي اغتيالك معنويًّا

كلّما ازداد حبّنا تضاعف خوفنا من الإساءة لمن نحبّ
بالزاك

النسيان هو جثّة الوقت العشقي الممدّدة بين عاشقين سابقين.
الاحتضار السريري الغبي لانتظار خلته يومًا، فإذ به يدوم أسبوعًا ثمّ شهرًا ثمّ دهرًا بسبب أمر لا علم لك به.
الإلغاء التدريجيّ في حياتك لكلّ وظائف أعضائك المغدور بها. الموت الحسي لكلّ حواسك التي تعطّلت بتعطّل ساعتك الداخلية التي كانت تعمل بتوقيت الحبّ.
هو ذاكرة تعمل كساعة داخلك، تنبّهك إلى عادات سابقة اغتالها رجل أعلن اغتيالك المعنويّ. ساعة كان هو عقاربها وغدا عقربها.
في كلّ مرة تنتظرين صوته في الساعة إيّاها و لا يأتي، تموتين متسمّمة بالصمت. سمّه يتسرّب إليك من جثّة الهاتف.
لا يغادرك إحساس بالإهانة لما أعطيته من وفاء. بعدم اكتراثه بألمك. باستخفافه باحتمال موتك قهرًا. بقهرك لفرط موت الوقت و موته هو داخلك.
أحاسيس موجعة ستنخرك و تقتلك بعدد الدقائق. و ستكونين أكثر عذابًا من أن تعي أنّ سمّه هوالوصفة بالذات التي كانت تلزمك للشفاء منه. و أنّ الله الذي يحبّك قد ألهمه وسيلة عتقك.

يومًا بعد آخر سيعتاد جسدك على جرعات السّم.. و لن يعود له من تأثير عليك. لقد لقحك من إدمانك إيّاه. طبعًا لم تكن هذه نيّته و لا خطّته ربما ظنّ أنّك على طريقة المدمنين اليائسين ستهجمين على صيدليّة و تسطين تحت تهديد السلاح على جرعتك من " الكوكايين العشقي " مطالبة بأقراص صوته.. و مصل كلماته تلك. أو أنّك ستقومين بخطف عاشقيْن كرهينة و تهدّدين بقتلهما نكاية في الحبّ، إن هو لم يحضر !

و قد تشفقين عليهما.. و تقرّرين الانتحار نكاية فيه تاركة خلفك رسالة ولاء و وفاء لجلادك، عساه يشقى بموتك بقيّة أيامه.

هذه أمنياته غير المعلنة. إنّه يريد دليلًا ملموسًا على جنونك به. لكن أنت التي كنت مجنونة به حقًّا ستستعيدين قواك العقليّة أمام هذا التحدي.

على أيامنا ما عاد قيس هو المجنون.. كلّ " قيس " همّه البحث عن مجنونة !

" ربّي يكثّر المهابل حتى يعيشوا الفاهمين " ! تقول أمّي.

بسرعة استعيدي عافيتك. تذكّري أنّ حبًّا يتغذّى شرّه من خيرك و سمّه من صبرك ليس حبًّا إنّه حالة مرضيّة.

عطر النسيان

عســــاها تطـــاردك رائحتـــــي
و يحتجــــــــــزك حضــــــــني
و تخـــــذلك النســـاء جمـــيعهن
فتعـــــود منكســــــرا إلـــــيّ

لـــيس للنســـيان عطـــر. العطـــر لا يمكـــن أن يكـــون إلّـــا عطـــر الذكريات.
+ وقعـــت علـــى هـــذه الحقيقـــة و أنـــا أبحـــث للغيـــاب عـــن عطـــر، ينقـــذنا مـــن عطـــر الـــذاكرة المـــرتبط وجـــدانيًّا بمـــا عشـــناه و تقاسمناه مع أحد.
لا يبـــدو الأمـــر ســـهلًا. فالإنســـان يملـــك 347 جينـــة خاصـــة بالشّـــم. مقابـــل أربعـــة فقـــط للبصـــر. أيّ أنّنـــا نـــرى.. و نحـــبّ.. و نشـــتهي.. و نحنّ.. و نأكل.. و نتذكّر بأنوفنا.
العطـــر مـــزيج مـــن كيميـــاء الجســـد.. و كيميـــاء عطـــر فـــي قـــارورة. لذا توجد عطور بعدد البشر.
و علـــى كـــلّ امـــرأة أن تخلـــق الخلطـــة الســـحرية لعطـــر لـــن تضـــعه امـــرأة ســـواها. إنّـــه عطـــر نســـيانها الشخصـــي الـــذي تلغـــي بـــه عطـــر الماضـــي و عطـــر النســـاء الأخريـــات فـــي ذاكـــرة رجـــل.. أو تلغـــي به زمنًا ولّى مع رجل.

المطلوب عطر يمكّنها أن تنسى من دون أن يتمكّن الآخرون من نسيانها!
لقد كان الرجال في الماضي في زمن البداوة الجميلة، يعرفون عطر نساء القبيلة واحدة، واحدة. و بإمكانهم رغم الحجاب التعرّف على اسم امرأة عبرت أو غادرت لتوّها المجلس ممّا تركته خلفها من شذى. ربما علينا أن نجرّب هذه الخدعة لنعرف إلى أيّ حدّ عطرنا لا يشبه سوانا.
في سعيك إلى نسيان رجل لا تنسي أن تغيري عطرك الذي كنت تضعينه من أجله. اهدي صديقاتك عطر ذاكرتك العاطفيّة.. السابقة. تخلّصي منها كي لا تستقوي عليك القوارير.. حتى بحضورها الصامت، تطالبك.. به.
إن وفاءك لعطر كنت تضعينه على أيامه هو وفاء غير معلن له. و قبولك باستحواذه على حواسك حتى بعد انفصالك عنه.
عليك أن تقعي في حبّ عطر جديد. هذه الفكرة في حدّ ذاتها ستفعل مفعولًا سحريًّا عليك. و تقنعك أن ثمّة شيء انتهى. و أن آخر سيجيء و سيكون له شذى عطر يعلق بك منذ الرشّة الأولى. تمامًا كنظرة أولى.
لا تنسي أن تستعدّي لحدث اختيار عطر أيامك القادمة بارتداء أجمل ثيابك و أحلى اكسسواراتك.
+المناسبة تستحقّ أن تتجمّلي لها. أنت على موعد مع عطر حبّ جديد. و حتى إن لم يجيء الحبّ. عليك أن تخترعي للغياب عطرًا جميلًا يجمّل انتظارك.
يظلّ أحلى عطر و أروعه على الإطلاق ذاك الذي اخترعه GERLAIN صاحب الماركة الشهيرة التي تحمل اسمه.

حـــين فـــي الأربعينـــات مـــن القـــرن الماضـــي ابتكـــر عطـــرًا لامـــرأة واحـــدة.. و لليلـــة واحـــدة يهديـــه لمـــن أحـــبّ مـــن النســـاء. [كنـــت أعتقـــد أنّـــه بـــذلك يهـــديها العطـــر الفريـــد للحـــب، كمثـــل فســـتان زفـــاف يصـــنع علـــى قيـــاس امـــرأة ليُرتـــدى مـــرة واحـــدة. الآن أتســـاءل مـــاذا لو كان يهديها عطر النسيان؟

عطـــر لا وعـــود لـــه. لا مســـتقبل. لا التزامـــات. عطـــر لا ذاكـــرة لـــه. كشـــهرزاد يتوقـــف بوحـــه عنـــد الصـــباح. مـــن مزايـــاه غيـــر المعلنـــة أنّـــه يخـــذل ذاكـــرة الرجـــل و يعيـــده إلـــى عطـــر امرأتـــه الأولى.

***

قلـب فـي تلفّتـه إليـك يخـونني

حيـــث تمضـــي يلحـــق بـــك

ممســـكًا بتلابيـــب عطـــرك

صهيل قارورة فارغة من عطره

عطرك يعلّم امرأة فنّ الإصغاء
لا تبتعد
حتّى لا تصاب أنوثتي بالصّمم
لكن..
إحذر أنثى يثرثر عطرها كثيرًا
إنّها - حتمًا- تخفي شيئًا ما

كلّ الحواس تعمل عميلة لدى الحبيب. تستحضره في الغياب. تطالب به. تفاضل بينه و بين أيّ دخيل فتنحاز إليه. لكن يظلّ النظر و الشم هما رؤساء " عصابة الخمسة ". إن كانت خلايا دماغيّة هي التي تسجّل الحدث. إنّ النظر و الشمّ هما الحاستان اللتان تكرّسان الذكرى أما أشرس العملاء و أخبثهم هو الأنف.
لم يخطئ مارسيل بروست حين قال أنّ " الشمّ هو حاسة الذاكرة ". نزار قباني في تعليقه على قول محمود درويش " و رائحة البن جغرافيا " يرى كأنّ محمود درويش يستعيد أرضًا بالأنف.
هكذا هو الأنف دومًا بإمكانه أن يستعيد حبيبًا، أن يستعيد ذكرى، أن يستعيد مدينة بفضل ذلك الشيء اللامرئي الذي لا

نستطيع منعه من اجتياحنا. من يستطيع شيئًا ضدّ عطر أو رائحة ؟

العطر سلطة. كانت كليوباترا ترشّ أشرعة باخرتها بالعطر.. حتى يبقى خيط عطر خلفها يشهد أن ملكة لا تشبه النساء مرّت من هنا.

العطر مكيدة.. كانت جوزفين حين تغادر القصر واثقة أن نابليون سيستقبل امرأة غيرها. ترشّ جدران غرفته بعطرها حتى يظلّ أسير ذكراها.

العطر قصاص مستقبلي. إنّه يوقظ عبق الذكريات. العطر لا يرأف بك. إنّه أكثر الحواس إجرامًا عند الفراق.

حتى قارورة عطر فارغة. قد تتحوّل حين فتحها إلى قنبلة تنفجر فيك. تشلّك. في غياب صاحبها. صهيل عطره الذي بقي بعده عالقًا بزجاجها يغدو عطرًا مشحونًا بالذكريات ينقصه كيمياء صاحبه لينطق.

يا لقارورة ثملة بما فرغت منه.

أكبر متحالف مع الذاكرة. هي تلك القارورة الفارغة من الذكريات. أو بالأحرى التي توهمك بفراغها.

لا تحتفظي بعطر رجل ما عاد في حياتك. و لا ترتكبي حماقة مواصلة شراء عطره لتوهمي نفسك بوجوده، إنّك تشترين ألمك. أو ترشّي عطره عليك كلّما دخلت إلى محلّ للعطور في مدينة.. أو في مطار. كما تفعل صديقة حمقاء تعمل مضيفة طيران. في كلّ مطار تقصد السوق الحرة. ترشّ عطره قبل أن تطير. لتوهم نفسها أنّه ينتظرها في كلّ مطار.. ليطير معها !

أوّل شـــيء عليــك إبعــاده تمامًــا مــن حياتــك، هــو هــذا العطــر بالــذات. ذلــك أنّــك إن وضــعته تكــونين قــد استحضــرت صــاحبه كمــا تستحضــر الأرواح الشــوق إليــه ســيهبّ حينهــا علــى دفعــات كعطر. ينفذ إلى خلاياك يوقظ نسيانك. يهزمك.

***

أحبطي مؤامرة عملائه!

و من عجب أنّي أحنّ إليـــــــــهم و أسأل عنهم من لقيت و هم معي
و تحتاجهم عيني و هم في سوادها و يحتاجهم قلبي و هم بين أضلعي

أعتـــرف. كتبـــت هـــذا الكتـــاب لممازحـــة النســـيان. ذلـــك أنّنـــا لا نســـتطيع منازلـــة الـــذاكرة بجديّـــة. هـــي تملـــك أســـلحة لا قـــدرة لنـــا عليها.

تهزمنـــا الـــذاكرة لأنّ لهـــا عمـــلاء يقيمـــون فينـــا. يـــديرون شـــؤونها لحســـاب حبيـــب. يتـــآمرون علينـــا لصـــالحه. كـــلّ حواســـك تعمـــل عميلًا عنده. البعض بمرتبة ضابط اتصال.

كـــان بيغـــين يقـــول " كـــلّ 5 لـــدى عرفـــات لـــه مـــنهم ثلاثـــة و لـــي اثنـــان" و إذا كانـــت اســـرائيل بعميلـــين اثنـــين مـــن كـــلّ خمســـة مقـــربين لعرفـــات اســـتطاعت نســـف القضـــيّة الفلســـطينيّة. فمـــا بالـــك إن كـــان الخمســـة جمـــيعهم عمـــلاء. و يقيمـــون فيـــك، و يعملـــون لصـــالح رجـــل غريـــب يقـــول أنّـــه حبيـــب. فـــي كـــلّ حـــرب كســـبتها إســـرائيل، مـــا كانـــت لتـــنجح لـــولا تـــوفّر الخونـــة و الجواســـيس. حواســـك تـــوفّر لحبيبـــك الانتصـــار عليـــك. تكتشـــفين ذلك متأخرًا كما في كلّ قصص الجاسوسيّة.

فقـــط عنـــدما تحـــاولين نســـيان رجـــل. يكشـــف العمـــلاء عـــن وجـــوههم. أنـــت لســـت فـــي حـــرب ضـــدّ رجـــل. بـــل ضـــدّ جـــيش مـــن

-KGB- و CIA - و GESTAPO الهتلريّـــــــة . لقـــــد تـــــــركهم يخوضون الحرب نيابة عنه داخلك و مضى.
إنّهــم يقيمــون فـــي نخاعــك الشــوكي. فـــي دورتــك الدمويّــة فـــي الشبكة البصريّة لعينيك في خياشيم أنفك و في مسام جلدك.
مـــا الفــرق بــين الحبيــب و بــين المحتـــل إذن. لقـــد أقـــام فيــك مستوطنة في مساحة كيانك.
هــو بصــرك و شــمّك و نظــرك. هــو مــا تتفــوّهين بــه و مــا تهــذين حــين تصــمتين. هــو جلــدك فكيــف جلــدك تخلعــين. هــو خلايـــاك و مســـامك. هـــو شـــيطان أرقــك.. و إلـــه نعاســك. هـــو الســمّ الـــذي تتناولينـــه علـــى مـــدار النهـــار خـــارج الوجبـــات. و هـــو الوجبـــة التي تقتاتين بها لتبقي على قيد الحياة.
حواســـك الخمســـة مجنّـــدة علـــى مـــدار الليـــل و النهـــار لتـــدافع عنـــه تطالبك بإحضاره من السماء أو من تحت الأرض.
أكبـــر فاجعـــة عنـــدما تـــدخلين معركـــة النســـيان اكتشـــافك أن حواســـك خانتـــك. و أن عليـــك إن شـــئت إخـــراج هـــذا " الجـــنّ العـــاطفي " مـــن جســـدك أن تعلنـــي الحـــرب علـــى نفســـك. أن تقـــولي " لا " بمـــلء صـــوتك. لحاســـة تـــذكّرك بعطـــره. و أخـــرى بصـــوته. و أخـــرى بمـــذاق قبلتـــه و أخـــرى بلمســـته. و أخـــرى بطلّته.. بمشيته.. بضحكته.. بجلسته.. بثيابه.
إنّـــك باختصـــار تخوضـــين حربًـــا عالميّـــة بمفـــردك ضـــدّ جيـــوش قوّات الحلفاء مجتمعة !.
كان الله في عونك.. يا مرا !
بـــرغم هـــذا لا تيأســـي جـــلّ الـــذين تصـــادفينهم فـــي الحيـــاة خاضـــوا مثل هذه المعارك و انتصروا فيها.. تقريبًا !

ذكرياتي.. يا ذكرياتي

لا ننسى شيئًا مما نودّ نسيانه. نحن ننسى كلّ ما عداه
بوري سفيان

أن تنسي شخصًا أحببته لسنوات، لا يعني أنّك محوته من ذاكرتك. أنت فقط غيّرت مكانه في الذاكرة. ما عاد في واجهة ذاكرتك. حاضرًا كلّ يوم بكلّ تفاصيله. ما عاد ذاكرتك كلّ حين. غدا ذاكرتك أحيانًا. الأمر يتطلّب أن يشغل آخر مكانه، و يدفع بوجوده إلى الخلف في ترتيب الذكريات.

ذلك أن الذكريات لا تموت. هي تتحرك فينا تخبو كي تنجو من محاولة قتلنا لها. ثمّ في أوّل فرصة تعود و تطفو على واجهة قلبنا. فنختفي بها كضيف افتقدناه منذ زمن بعيد و مرّ يسلّم علينا و يواصل طريقه.

الذكريات عابر سبيل لا يمكن استبقاؤها مهما أغريناها بالإقامة بيننا.

هي تمضي مثلما جاءت. لا ذكريات تمكث. لا ذكريات تتحوّل حين تزورنا إلى حياة. من هنا سرّ احتفائنا بها. و ألمنا حين تغادرنا. إنّها ما نجا من حياة سابقة.

ليس بإمكان أحد الإدعاء أنّه من يتحكّم في ذكرياته. و لا هو يحتاج أن يبحث عنها في الزوايا خلف عنكبوت الزمن. هي التي تتحكّم فيه.. و هي التي تبحث عنه حين تشاء.

يؤكـد رأيـي هـذا، كتـاب المحلّـل النفسـي باتريـك استراد " هـذه الـذكريات التـي تحكمنـا " حـين يقـول " الـذكريات تمثّـل بشـرة جلـدنا الداخليّـة و تصـوغ شخصـيّتنا مـن دون أن نـدري. الـذكريات التـي نتـذكرها فـي مناسـبات معيّنـة هـي مفتـاح الحـلّ لكثير من المشكلات التي تصبح حياتنا".

بالنسـبة للمؤلـف الـذكريات لا تقـيم فينـا بـل هـي تغلّـف حياتنـا. فهـي تمثّـل بشـرة جلـدنا الداخليـة. إنّهـا كـلّ مـا حولنـا مـن أشـياء نحـيط أنفسـنا بهـا. مـا نلمسـه مـا نلبسـه مـا نحـتفظ بـه. مـا لا ينفـع لشيء و نرفض أن نلقي به. إنها فخّنا !

الـذكريات هـي هويتنـا الأخـرى التـي نخفـي حقيقتهـا عـن الآخـرين. حتـى أنّ الكاتـب يطلـق شـعارًا جديـدًا " قـل لـي مـاذا تتـذكّر.. أقـل لـك مـن أنـت " و هـو أصـدق شـعار نفسـيّ قرأتـه. جرّبـوا هـذه اللعبـة. تعرّفـوا علـى أنفسـكم مـن خـلال سـؤالكم: مـاذا تتـذكّرون بالضـبط. أيّـة ذكريـات نجـت مـن النسـيان خـلال عبـوركم متاهـات العمـر.. أيّ ذكريـات لا تفـارقكم كحيـاة تلـك هي بالذات الذكريات التي تتحكّم في حياتكم.

***

النسيان يمتلك السلطة و معنى السر

موريس بلانشو

اصنعي من الذكريات.. تبولة!

إلوي عنق الدجاجة التي تأكل عندك و تذهب لتبيض عند غيرك

(مثل اسباني)

نمــــوت قاصــــرين مــــن دون أن نبلــــغ الســــن القانونيّــــة للنســــيان. لا نســــتطيع شــــيئًا ضــــدّ الــــذاكرة. إنّهــــا تقــــيم فــــي ثنايــــا الحفريــــات العاطفيّــــة. لــــذا رأى الــــبعض أن الحــــلّ فــــي الــــتخلص مــــن الــــذكريات أوّلًــــا بــــأوّل كــــي لا نمنحهــــا فرصــــة اختراقنــــا و التمــــدّد فينــــا. فمــــا الذكريات سوى تراكم الحاضر.

النيويوركيّــــون اخترعــــوا طريقــــة جديــــدة لرمــــي كــــلّ مــــا يريــــدون نســــيانه و الــــتخلص منــــه مــــن ذكريــــات العــــام الماضــــي. فقــــد وضــــعوا بمناســــبة نهايــــة الســــنة مفرمــــة كبيــــرة فــــي ســــاحة " تــــايمز ســــكوير " راحــــوا يلقــــون فيهــــا ببهجــــة احتفاليّــــة، كــــلّ مــــا لا يريــــدون أن يكــــون له مكانًا في حياتهم بعد الآن.

رجــــل يرمــــي صــــورة صــــديقته التــــي تخونــــه. و آخــــر يرمــــي ديونــــه، و امــــرأة تقــــذف هاتفهــــا الخليــــوي، و أخــــرى هــــدايا مــــن حبيــــب ســــابق. و نســــاء يخطــــبن و يقســــمن علــــى النســــيان و رجــــال يلعنــــون و يضحكون و يصفّقون.

بعــــد منتصــــف الليــــل فــــي الليلــــة الأخيــــرة مــــن الســــنة، كانــــت الــــذكريات القبيحــــة قــــد انتهــــت فــــي حاويــــة القمامــــة. و غــــادر النــــاس

الساحة إلى بيوتهم مبتهجين بعدما تخلوا عن الذكريات التي تزعجهم.
لا تحتاجين إلى انتظار نهاية السنة لتلقي بما يزعجك إلى " مفرمة الذكريات ". المناسبات لا تنقصك. كأن تكون ذكرى لقائك به لأوّل مرة. أو مرور عام على صمته و انقطاعه عنك. أو ذكرى آخر لقاء جمعكما. أو ذكرى طعنته و حدادك عليه.
في غياب " المفرمة " ادخلي إلى مطبخ الحبّ و افرمي كلّ ما أصبح مصدر إزعاج و ألم في حياتك. اصنعي من الذكريات المفرومة " تبولة " انقعي برغل الأمنيات التي يبست في الغياب. قصّي رأس بندورة جبليّة لها مذاق شهوات bio. استعيني بسكين ماضٍ لفرم الماضي مرّة واحدة. كي لا تقعي في فخ الاجترار.
طبعًا لا يمكن أن تشتري النسيان بثمن ربطة بقدونس. لكن المهم ليس البقدونس، إنّما السكين. المهم أن تفرمي الذكريات التي تفرمك يوميًّا دون رحمة.
أنصحك أيضًا بفتح براد الماضي. ألقي بكلّ ما تعفّن فيه دون أن تنتبهي لذلك. كلّ ما انتهت صلاحية تناوله و لا جدوى من الاحتفاظ به. المعلبات النصف المفتوحة لأمنيات غطى الصوف وجهها. أحزان طرية كجبنة الكاممبير المستوردة من بلاد ما عادت تصدر الأحلام الورديّة. و ستفتح شهيّة الفئران لزيارتك ليس أكثر.
أمّا ما بقي عندك من خضار في براد الذكريات. فاطبخيها كسكسي و ادعي صديقاتك للعشاء من دون أن تخبريهن

بالمناسـبة. زيّنـي مائـدة النسـيان بشـمعدان. تـأمّلي الشـمع و هـو يذوب و اسعدي.. هكذا كنت قبل اليوم.
لقـد أنقـذتك " المفرمـة " مـن محرقـة الماضـي ! و لا بـأس إن بكيـت وحـدك فـي آخـر المسـاء " كـلّ مـا تنـزل دمعـة تضـوي شمعة" يقول مثل جزائري.

نساء في مهبّ النسيان

النساء دائما ما تقلق على الأشياء التي ينساها الرجال ، والرجال دائما ما تقلق على الأشياء التي تتذكرها النساء .

محمد خليل

هذا المخلوق الهاتفيّ الذي يعبث بحياتك

لا عمـــــــــر لهـــــــا
تبلـغ سـنّ الرشـد بقبلـة
و تـــدخل ســـنّ اليـــأس
بانقطـــــــاع هـــــــاتفيّ
كـان الله فـي عـون امـرأة
أدركها الحبّ على شفتيك

تنبيه:

أتمنّـــى ألّـــا تفـــوّتي قـــراءة هـــذا الفصـــل. لأنّـــك حتمًـــا ســـتحتاجين إلـــى العـــودة إليـــه مـــا دمـــت حيّـــة. حتـــى لا تمـــوتين فـــي حـــادث صـــمت معلـــن، علـــى يـــد رجـــل قـــرّر فجـــأة أن يقتلـــك بســـكتة هاتفيّـــة، بعـــد أن ســـعى خـــلال أشـــهر و ربمـــا ســـنوات إلـــى جعلـــك فـــي حالـــة إدمـــان و تبعيّة مرضيّة لصوته.
تجمع النساء على أنّ الأشياء تبدأ غالبًا هكذا:
رجـــل كـــأنّ بـــه مـــسّ مـــن تلفـــون. لا تـــدرين و هـــو يجتـــاح حياتـــك هاتفيًّـــا، نســـبة العقـــل فيـــه مـــن نســـبة الجنـــون. رجـــل يهاتفـــك بعـــدد ســـاعات النهـــار. يبعـــث لـــك رســـالة حيثمـــا ذهـــب. ليقـــول لـــك شـــيئًا مهمًّا لا يحتمل التأجيل: يحتاجك كلّ لحظة.

" أنا خارج البيت.. في قلبك "
" أنا في زحمة السيّارات و قلبي مزدحم بك "

" أنا عائد إلى البيت.. إليك "
" أنا أشتري خبزًا.. كلّما اشتريت خبزًا أكلتك "
" أنا أتعشّى مع أصدقاء و لا جوع إلّا إليك "
" سأخلد للنّوم.. في عينيك "
" صباح الشوق يا كلّ صباحاتي "
+ و تمضي الأيام هكذا و أنت ترافقينه بكرة و أصيلًا... جملة و تفصيلًا حيثما حلّ و في كلّ ما يفعل. و كأنّك مشتركة في خدمة "الخبر العاجل" التي تزودك بالأخبار أوّلاً بأوّل على مدى الليل و النهار.
و لأنّه يهاتفك كلّ حين قد يحدث أن يجد هاتفك مشغولًا. و هنا تولد نواة المشكل الذي ستبنى عليه مشاكل تتوالد أمام اندهاشك من حيث لا تدرين.
فهذا الحبيب الذي تحوّل بحكم المسافة إلى " مخلوق هاتفيّ " يرى في انشغال هاتفك انشغالًا عنه.. و ربما خيانة له. فالهاتف.." هاتفه ". و ليس من المفروض أن يكون لك شغلًا عداه. حتى و إن كنت محرّرة في قناة إخبارية عالميّة.
تسألني صديقتي و هي على حافة البكاء " ماذا أفعل لقد بدأت المشاكل بيننا.. كلّما وجد الهاتف مشغولًا قامت القيامة و انقطع عن مهاتفتي يومًا أو يومين، أبشّرها " ذات يوم سينقطع لأيّام.. ثمّ لأسابيع.. و ربّما لأكثر.." تصيح " لكنّني أحبّه .. أنت تدرين كم أحبّه ليس في حياتي غيره. إنّه حبّ حياتي لا أريد أن أخسره ".
لكن يا عزيزتي منذ اللحظة التي دخلت سوسة الشك إلى قلبه أصبحت مهدّدة بخسارته. سيصدّق السوسة و لن يصدّقك !

لقد كان العشاق أسعد و أكثر طمأنينة و ثقة في بعضهم البعض.. قبل أن يأتي ألكسندر غراهام بيل - لا سقى الله قبر والد ولده - و يخترع لنا الهاتف يكفيه لعنة أنّه ما استطاع أن يتصّل و لو مرّة هاتفيًّا بأمّه و لا بزوجته.. لأنّهما كانتا مصابتين بالصمم !
عبثًا أشرح لصديقتي أنّ كما الثورة تأكل أبناءها يأكل الهاتف عشاقه. على يده يكون حتفهم. و عليها الاستعداد منذ الآن لقطع حبل السرة الهاتفي الذي يوصلها بذلك الرجل على مدى الليل و النهار.
في ذلك العشاء الذي جمعنا، دمعت عيناها لأنّ صديقة أخرى من إحدى نجمات الإعلام الخليجي أكّدت لها رأيي و هي تفاجئنا بالاعتراف أنّها منذ ثلاث سنوات تعيش خارج مجرّة العشاق للسبب نفسه. صحنا مندهشات " و لم تحبّي أحدًا منذ ذلك الحين ؟! " قالت " لا.. كان هو حبّ حياتي ".
أمّا هو فما يصدّق أن تكون امرأة على ذلك القدر من الجمال و النجوميّة و الشهرة وفيّة له. قالت له السوسة " كيف تخلص لك و حولها هذا القدر من الأثرياء و المشاهير " المؤلم حقًّا أنّه لا يدري أنّها ما زالت على عصمته. أكان سيسعد أم سيحزن لكلّ هذا لهدر. و كيف تراه فسّر قرارها بعدم الاتصال به أبدًا مذ انقطع فجأة عن مهاتفتها. ربّما ظنّها مشغولة بحبّ آخر و هاتفها كقلبها خارج الخدمة. فتمادى في القطيعة.. و في الخيانة.
عدت من ذلك العشاء مثقلة بالغيوم العاطفيّة. لا أفهم كيف تتظافر جهود سوء الفهم و سوء الظن و سوء الحظ لاغتيال

كــلّ هــذه القصــص العاطفيّــة الجميلــة. مــن دون أن يــدري الطــرف الآخر كم كان آثمًا و ظالمًا في مدّه و جزره الهاتفي.
دون أدنــي شــعور بالــذنب تمــوت قلــوب النســاء بســبب رجــل دخــل حيــاتهن بكــلّ ذلــك الاجتيــاح، ثــمّ غادرهــا بكــلّ تلــك القســوة، مــن دون أيّ شــرح ليتســلّى بتحطــيم قلــب امــرأة أخــرى يهــرب إليهــا من الأولى.. وهلمّ جرى.
أيكــون فــائض الكــلام بــين العشــاق قــد قتــل الحــبّ ؟ فــائض التفاصــيل التــي يحتاجهــا الحــبّ ليحيــا و لكنّــه لا يحتاجهــا لــيحلم. الحــبّ يحتــاج إلــى غمــوض.. إلــى أســرار صــغيرة لا يتــرك لهــا الهــاتف " المرضــي " مســاحة. لــذا يصــبح حــبّ العشــاق أقــوى و أعنــف بعــد الانقطــاع الهــاتفي. إنّــه يجبــر كــلّ واحــد علــى صــنع حيــاة افتراضــيّة للآخــر بمــا يعــرف عنــه مــن عــادات ســابقة و مــن أســرار. فيعــود الحــبّ علــى ألمــه جميلًــا كمــا فــي الأزمنــة الغــابرة. فــي العواطــف الكبيــرة لكبــار العشــاق فقــط لا تقتــل القطيعــة بــل تحيــي. إنّهــا تــؤجّج الحــبّ و تــزوّده بــالوقود الــذي يحتاجــه: تحــدّي الــزمن. بالوفــاء لشــخص لا تــدري مــا هــو فاعــل علــى الطــرف الآخــر مــن الحيــاة. لأنّ مــا تعرفــه عنــه مــن عــادات و مــا قــال لــك على مدى أشهر و أعوام يجعلك تثقين في معدنه.
بــرغم ذلــك كــم مــن الهــواجس و الوســاوس ســتراودك أمــام صــمته. فالصــمت مســاحة الالتبــاس العــاطفي. ستشــكين مــع الوقــت فــي كــلّ إشــارة حتــى فــي الصــوت النســائي الآلــي الــذي يــردّ عليك.

" أكـــره المـــرأة التـــي تقـــول: إنّ الاتصـــال بـــالرقم المطلـــوب غيـــر ممكـــن حاليًّـــا. كيـــف أثـــق بأنّهـــا ليســـت مـــن مجموعـــة النســـاء اللـــواتي يحطن بك !" تقول ماري القصيفي.

ذاك الكبرياء القاتل للحبّ

يبلغ الحب القمة متى تنازلت المرأة عن عنادها و الرجل عن كبريائه
" أنوري دي بالزاك "

لا تنازلي رجلًا بتقديم مزيد من التنازلات. في التبضّع كما في الحبّ الرجل لا يحبّ التنزيلات. يريد ما ندر و غلا.
ذات يوم - أكيد - سيختبر معدنك بقدرتك على الصبر على انقطاع كأنّه قطيعة. قد يدوم اختفاؤه أيامًا أو أسابيع أو أشهرًا. و قد يكون النهاية التي لا تدرين بعد بها.
فليكن.. ادخلي حلبة صمته. ستكبرين بالصبر عليه. استمتعي بالانقطاع عنه. لا تعيشي قطيعته عذابًا. عيشيها تمرينًا في الكبرياء و إعلاء شأنك. " ما أقوى من الحب سوى الكبرياء عند أمنع النساء".
يومًا بعد يوم ستتوقفين عن عدّ الأيام التي لم تسمعي صوته فيها. و المناسبات و الأعياد التي أخلفها قصدًا، برغم أنّه عايد أناسًا لا يعنون له ما تعنين.
لن يكون الأمر سهلًا. لكن غدره بك هو وقود تحديك، فتزوّدي به ما استطعت. عليك أن تكسبي عادات جديدة لقتل عاداتك القديمة. و قبل هذا كلّه عليك أن تغذّي إحساسك بالأنفة في مواجهة من كان أقرب إنسان إلى روحك. و غدا

ألـــدّ أعـــدائك لأنّـــه يملـــك مفاتيحـــك، و يعـــرف المـــداخل غيـــر المحصنة لقلبك. و يعرف كم أنت ضعيفة تجاهه.
لا تضـــعفي و تطلبـــي رقمـــه، لأنّـــك ستخســـرين عـــزّة نفســـك مـــن دون أن تكـــوني قـــد كســـبته. فـــي هـــذه المزايـــدات بالـــذات علـــى الكبريـــاء و الجفـــاء يمـــوت الحـــبّ الكبيـــر أرخـــص ميتـــة مـــن أجـــل إعلاء شأن عاشقين يتلوعان و يشقيان في الوقت نفسه.
لا أعـــرف جريمـــة أكبـــر مـــن هـــذه تجـــاه أنفســـنا و تجـــاه الحـــبّ. و لا أعرف خسارة أكثر فداحة و حماقة.
و لكـــن مـــا دامـــت هـــذه اللعبـــة الإجراميّـــة هـــي التـــي يحلـــو للرجـــال أن يلعبوهـــا معنـــا لا نملـــك إلّـــا أن ننـــزل إلـــى الحلبـــة و نكســـب الجولـــة. حتـــى لـــو اقتضـــى الأمـــر بكـــيّ قلبنـــا فـ" آخـــر الـــدواء الكيّ!".
لـــي صـــديقة هزمهـــا الشـــوق وخانتهـــا يـــدها بعـــد أســـابيع مـــن القطيعـــة، فطلبـــت رقـــم الرجـــل الـــذي كانـــت تحبّـــه. و حـــين قطـــع الهـــاتف فـــي وجههـــا. أشـــعلت ســـيجارة و كـــوت بهـــا يـــدها اليمنـــى حتـــى كلّمـــا رأت آثـــار الحريـــق علـــى يـــدها كرهتـــه و رفضـــت يدها أن تطلبه مجددًا.
راح يتمـــادى صـــدًّا لأنّـــه اعتقـــد أنـــه كعادتـــه بإمكانـــه أن يـــذهب بعيـــدًا فـــي ظلمهـــا، ثـــمّ يجـــدها فـــي انتظـــاره متـــى عـــاد. مـــا تخيّـــل لحظـــة أنّهـــا هـــذه المـــرة لـــن تنتظـــره. فقـــد دخـــل إلـــى حياتهـــا رجـــل توّجهـــا أميـــرة و أحبّهـــا و دلّلهـــا كمـــا لـــم يفعـــل رجـــل. و عشـــقها حـــدّ تقبيل أصابع قدميها و لم يلحظ يومًا آثار الحريق على يدها.
فـــي آخـــر أخبارهـــا، جـــاء الحبيـــب الأوّل مـــن بـــلاده ليودعهـــا و هـــو علـــى مشـــارف المـــوت بعـــد أن تـــدهورت صـــحته بســـبب مـــرض

فاجــأه و هــو فـــي عـــزّ رجولتـــه و كامـــل عنفوانـــه. قـــال لهـــا أنّـــه خلال أربع سنوات ما نسيها يومًا و أنّه ما أحبّ سواها.
و مــــا زالــــت صـــــديقتي تبكـــــي و لا تــــدري كيـــــف عليهـــــا أن تتصــــرّف. هـــاتفتني تقـــول " عنـــدي لـــك قصّــــة لا بـــدّ أن تكتبيهــــا. تــــذكرين فـــلان... لقـــد عـــاد".. صــــحت " لا معقـــول ".. قالـــت " عـــاد يـــودّعني ".. قلـــت " أمـــا افترقتمـــا منـــذ ســـنوات ؟ ".. قالـــت " يودّعني هذه المرّة لأنّه قد يموت ".
عنـــدما تـــزوّج فـــي بـــلاده امـــرأة غيرهـــا مـــا ودعهـــا. فـــي كـــلّ بـــلاد ســـافرنا إليهـــا معًـــا، كنـــت أراهـــا تبكيـــه. كلّمـــا رأت امـــرأة تحـــدّث حبيبًـــا علـــى الهـــاتف. كلّمـــا اســـتمعت إلـــى أغنيـــة مـــن بـــلاده. كلّمـــا تزوّج اثنان.
صــــــديقتي التـــــي كانــــــت قبـــــل ســــــنوات تبكـــــي بســــــبب ظلمـــــه و هجـــره، عـــادت فـــي عـــزّ حبّهـــا الجديـــد تبكـــي عليـــه. عرضـــت عليـــه أن تعـــيش مـــا بقـــي مـــن عمـــره معـــه. أن ترافقـــه إلـــى مستشـــفيات العـــالم. أقســـمت لـــه أنّهـــا بمعجـــزة حبّهـــا قـــادرة علـــى شـــفائه. لكنّـــه أجابهـــا أنّـــه كـــان يريـــدها زوجـــة لا ممرضـــة. و غادر إلى قدره.
لقـــد زاده مرضًـــا شـــعوره بوجـــود حـــبّ آخـــر فـــي حياتهـــا جهـــدت لإخفائه عنه، كي لا تزيد من ألمه.
ثمّـــة نوعـــان مـــن الشـــقاء. الأوّل ألّـــا تحصـــل علـــى مـــا تتمنّـــاه. و الثـــاني أن يأتيـــك و قـــد تـــأخّر الوقـــت و تغيّـــرت أنـــت و تغيّـــرت الأمنيات بعد أن تكون قد شقيت بسببها بضع سنوات !
مـــا فتئـــت أســـأل نفســـي: مـــن الظـــالم أو الأكثـــر ظلمًـــا فـــي هـــذه القصّة؟

لعــل القـــدر الـــذي يملـــك كـــلّ الأجوبـــة، أجـــاب بـــأنّ حبيبهـــا كـــان الأظلـــم لنفســـه و لهـــا. لقـــد اعتقـــد أنّ بإمكانـــه أن يتخطّـــى حبًّـــا كبيـــرًا. و يبنـــي حيـــاة زوجيّـــة علـــى أطلالـــه. لكـــن أمـــام المـــوت و فـــي لحظـــة الصـــدق الحقيقيّـــة ارتفـــع صـــوت القلـــب ليطالبـــه بزوجة قلبه. لقد اكتشف جريمة أن نموت بعيدين عن قلبنا.

لمـــاذا كـــابر إذن كـــلّ تلـــك الســـنوات ؟

لمـــاذا كـــان يشـــقى و يشـــقيها بـــه ؟

لمـــاذا كـــان يبكـــي فـــي الســـرّ.. و يبكيهـــا ؟

لمـــاذا و هـــو البـــدويّ الغيـــور كغـــزال عربـــيّ تركهـــا لرجـــل غيـــره؟

مـــن الأرجـــح أن احتمـــال خســـارتها لـــم يكـــن فـــي حســـبانه. فالرجـــل يعتقـــد أن المـــرأة موجـــودة أصـــلًا لانتظـــاره و أنّهـــا أضـــعف مـــن أن تأخـــذ قـــرار الانفصـــال أو تلتـــزم بـــه. لكـــنّ ثمّـــة حـــدًّا يصـــبح فيـــه الإخلاص إهانة للذات.

وأشـــهد أنّهـــا أخلصـــت لـــه حتـــى بعـــد الفـــراق. أخلصـــت كمـــا تخلـــص امـــرأة عصـــريّة تقـــع فـــي حـــبّ شـــيخ قبيلـــة. و مـــا كـــان شـــيخًا. كـــان رجلًـــا أحبّهـــا ببـــداوة. و مـــا توقّـــع كـــم بإمكـــان امـــرأة أن تعطـــي. و كـــم فـــي وســـعها أن تنتظـــر حتـــى يـــأتي القـــدر يومًـــا و يهديها حبًّا ينسيها شقاءها.

يعتقـــد الرجـــل و هـــو يتخلّـــى عـــن حـــبّ حياتـــه، أنّـــه ينتصـــر لكبريائـــه. فتقبّـــل الخســـارات الفادحـــة لمجـــرد رفـــع التحـــدي لـــيس أكثـــر، هـــو جـــزء مـــن فحولـــة تاريخنـــا العربـــي، الـــذي يضـــحّي فيـــه الحـــاكم المســـتبد بـــوطن ويســـلّمه للمحتـــل حتـــى لا يخســـر مـــاء وجهه و يتنازل عن عناده !

يـــأبى الرجـــل أن يعـــود إلـــى حبّـــه الكبيـــر بعـــد قطيعـــة معتـــذرًا ومنكســـرًا. تربيتـــه تمنعـــه أن يـــرى فـــي لحظـــة ضـــعفه أمـــام الحـــبّ أجمل لحظات عمره على الإطلاق.
إنّـــه الحـــبّ الـــذي كـــان يمكـــن أن يولـــد مـــرة أخـــرى مـــن رمـــاده و من غيابه و جراحه أكثر جمالًا ونضوجًا.
أكثـــر مـــن مـــرّة يتمنّـــى لـــو طلـــب رقمهـــا. هـــو لا يتوقّـــع أن تشـــهق امـــرأة علـــى الطـــرف الآخـــر للخـــط. و تعطيـــه مـــن الحـــبّ أكثـــر ممـــا يتوقّـــع. ذلـــك أنّ المـــرأة تعشـــق مـــن يعـــود إليهـــا ليقـــول " لا حيـــاة لـــي بعيـــدًا عنـــك " فـــي الواقـــع هـــي لا تـــزدري إلّـــا الطّغاة، و الجبناء أمام العواطف.
غيـــر أنّ الرجـــل المتشـــاغل عـــن الحـــبّ، المتجبّـــر علـــى الحبيبـــة. لا يكتشـــف إلّـــا بعـــد فـــوات الأوان صـــدق تلـــك المقولـــة السويســـريّة " لا تنـــدم و أنـــت علـــى فـــراش المـــوت لأنّـــك لـــم تحصـــل علـــى ترقية بل لأنّك لم تقض الوقت الكافي مع من تحبّ ".
لقد وضع في حسبانه كلّ شيء إلّا الموت.
المـــوت الـــذي تمـــوت فـــي حضـــرته كـــلّ الأكاذيـــب و تنتهـــي بـــه المزايـــدات العاطفيّـــة. لا كبريـــاء أمامـــه لكبيـــر. إنّـــه الحقيقـــة التـــي يصغر أمامها الجميع.
لحظـــة يحضـــر المـــوت. هـــل يبقـــى لرجـــل مـــن صـــوت ليقـــول لامـــرأة بينـــه و بينهـــا قـــارات مـــن الفـــراق و التحـــدّي، أنّـــه أحبّهـــا حدّ الموت.
أمّـــا الأكثـــر ألمًـــا، أن ترحـــل هـــي قبلـــه و تتركـــه مـــا بقـــي مـــن عمـــر ينـــزف نـــدمًا لأنّـــه لا يـــدري مـــاذا يفعـــل بعـــد الآن بكـــلّ الكلمـــات التي لم يقلها لها و ستموت معه.. إن لم تقتله.

أمـــام قصّـــة صـــديقتي التـــي مـــا زالـــت تعيشـــها بكـــاءً كلّمـــا هـــاتفتني. فكّـــرت أن علـــى العشـــاق المتنـــاحرين المزايـــدين علـــى الأذى بشراســـة الحيـــاة و عنفوانهـــا.. أن يتوقفـــوا و لـــو ليـــوم ليفكّـــروا فـــي احتمال موت أحدهما خلال أشهر.. و سنوات القطيعة.

ليستحضـــروا بخيـــالهم جثـــة الحبيـــب هامـــدة بـــاردة قبـــل أن تســـلّمها الأيـــدي إلـــى التـــراب. ليبكـــوه حيًّـــا حتـــى لا يبكـــوه ميتًـــا، عنـــدما يكـــون الوقـــت قـــد تـــأخر إلـــى الأبـــد. و مـــا عـــاد لـــه مـــن عيـــون ليـــرى دمـــوعهم عليـــه. عنـــدما لا يعـــد لطعنـــاتهم علـــى جســـده مـــن إيـــلام.. سيغدو الألم من نصيب الذي كان ممسكًا بالخنجر!

كـــم مـــن قصـــص حـــبّ كـــان يمكـــن إنقاذهـــا لـــو فكّـــر العشـــاق بمنطـــق الموت لا بمنطق الحياة. فهل يعتبر المحبّون؟!

***

عندما أحاول أن أعرف ما إذا كنت أحبّ شخصًا ما أتصوّره ميتًا.
و أراقب كيف يستجيب جسمي لذلك.

الإعلاميّة إيمي جينكز

يا ظالم لك يوم...

" تنام عينك و المظلوم منتبه   يدعو عليك و عين الله لم تنم "

حكـــى الأصـــمعي أنّــه رأى رجلًــا يــدعى أبــا الســـائب مـــن بنـــي مخـــزوم متعلّقـــا بأســـتار الكعبـــة و هـــو يقـــول: اللّهـــم ارحـــم العاشـــــقين، و اعطــــف علــــى قلــــوب المعشــــوقين بالرأفـــــة و الرحمـــة، يـــا أرحـــم الـــراحمين. قـــال الأصـــمعي: يـــا أبـــا الســـائب أفي هذا المقام تقول هذا المقال؟

قـــال: إليـــك عنـــي! الـــدعاء لهـــم أفضـــل مـــن حجّـــة بعمـــرة، ثـــم أنشـــأ يقول:

يا هجر كفّ عن الـــهوى و دع	الهوى للعاشقين يطيب يا هجر
ماذا تريد من الذين جفونـــــهم	قرحى و حشو صدورهم جمر
و سوابق العبرات فوق خدودهم	هطلًا تلوح كأنّها القـــــطر
صرعى على جسر الهوى لشقا	ئهم بنفوسهم يتلاعب الدهـــر

قـــرأت هـــذه القصّـــة بعـــدما أديـــت العمـــرة قبـــل ســـنة مـــن الآن. و لـــو علمـــت آنـــذاك أنّـــه يجـــوز للمحبّـــين أن يرفعـــوا لله شـــكواهم. ويـــدعون و هـــم فـــي بيتـــه علـــى أحـــد، كمـــا يـــدعون بـــالخير علـــى آخـــر. لاســـتفدت مـــن عمرتـــي لتصـــفية حســـاباتي. خاصّـــة أنّ مـــن رافقتـــي كـــنّ يقلـــن لـــي " أطلبـــي.. أطلبـــي مـــا تشـــائين. اســـألي الله كـــلّ شـــيء يخطـــر فـــي بالـــك " و كنـــت أرى النـــاس يطوفـــون

مـــردّدين أدعيـــة و لا أدري مـــا أطلـــب مـــن الله غيـــر المغفـــرة و الصـــحة و العافيـــة لـــي و للمســـلمين. دائمًـــا اســـتحيت أن أســـأل الله شـــيئًا لـــه علاقـــة بالحيـــاة الـــدنيا. كنـــت أقـــول أنّ الله يـــدري مـــا أريـــد و لـــو شـــاء لأعطـــاني إيّـــاه مـــن دون أن أطلبـــه منـــه. حتـــى قـــرأت أنّ الله لا يحـــبّ مـــن لا يســـأله، و يـــرى فـــي ســـلوكه تكبّـــرًا يستحقّ عليه العذاب.

يـــا للمصـــيبة ! الأمـــر إذن أصـــبح يســـتدعي إعـــادة نظـــر و ربمـــا إعادة العمرة.

و فـــي عمرتـــي القادمـــة سأســـتعد إن شـــاء الله للأمـــر بطريقـــة عمليّـــة فأحمـــل معـــي قائمـــة واضـــحة كاملـــة بأســـماء مكتوبـــة بلـــونين: الـــذين أدعـــو لهـــم بـــالأزرق و الـــذين أدعـــو علـــيهم بـــالأحمر. خشـــية أن تتلخـــبط علـــيّ الأســـماء و أنـــا بـــين يـــديّ الله. خاصـــة أنّ إحـــداهن زادتنـــي خوفـــا حـــين قالـــت لـــي أنّ الـــدعوات قـــد تضـــيع فـــي بريـــد الســـماء إن لـــم تتـــوفّر فيهـــا شـــروط الـــدعاء. و منهـــا أن ترفقيهـــا باســـم أمّ الـــذي تـــدعين لـــه.. أو عليـــه! و قالـــت ثانيـــة "بـــل اســـم أبيـــه هو الأهم فالمسلم ينادى عليه يوم القيامة على اسم أبيه".

تصـــوّروا كـــلّ هـــذه الـــدعوات غيـــر محـــدّدة الهويّـــة كيـــف بـــربكم تجد طريقها إلى السماء.

لا أصـــدّق.. أنّـــك تـــدعين لمحمـــد فـــي الجزائـــر فتـــذهب دعواتـــك لمحمـــد آخـــر فـــي باكســـتان. و تـــدعين علـــى عبـــد الله و لا تـــدرين علـــى أيّ واحـــد مـــن الملايـــين الـــذين يحملـــون الاســـم نفســـه مـــن ماليزيا إلى الصومال ستحلّ اللعنة.

فـــي هـــذه الحالـــة. كلّمـــا نـــدر الاســـم قلّـــت نســـبة احتمـــال أن ينتهـــي الدعاء عند غير الذي يعنيه الداعي.

وكنت سعدت لو كان الأمر كذلك ، لاقتصار اسم أحلام عليّ و على المطربة الإماراتيّة أحلام كإسمي علم .
فالدعوات حينها لا تخرج عن إطارنا نحن الاثنتين. ومن هذا المنطلق وجدتني معنية بها , وبدأ يراودني الشك في أن تكون كثيرا من دعوات الخير التي سعيت لجمعها على مدى حياتي قد انتهت عندها. بعد أن أعلنت أكثر من مرّة أنّ ثروتها ما شاء الله تقارب المليار دولار!
+ بما أنّ دعوات الخير كفيلة بالضراء فإن الأمر يحتاج إلى مبادرة من طرفها لإعادة توازن السراء في ما بيننا.
أمّا في حال رفضها لهذا الاقتراح فأنا أطالبها بأن تعلن عن اسم أمّها حتى لا أتلقى نيابة عنها دعوات من يدعون عليها ممّن تشاجرت معهم على مدى مسارها الفنيّ. خاصّة أنّ الالتباس زاد بيننا مذ تم منحها دكتوراه فخريّة.. تصوّروا حتى إذا أراد أحدهم لمزيد من الضمان لدعواته أن يحدّد بأنّه يعني " الدكتورة أحلام " شخصيًّا.. فدعاؤه أيضًا سينتهي عندي. !
ممّا يجعلني أفكّر في أن أتنازل عن هذا اللقب الذي أمضيت خمس سنوات في متاهات السوربون للفوز به. والذي في جميع الحالات لم أستعمله في حياتي. غير أني لا أستطيع أن أتنازل عن اسمي لكونه اسمي الحقيقي .
الأمر إذن أكثر تعقيدًا ممّا يبدو. فإن شئت الدعاء على الرجل الذي عذّبك و أبكاك و طلّع روحك.. " وطلّع عينك " كما يقول المصريّون. عليك أن تكوني مسلّحة باسم أمّه و هذه لعمري " أمّ المعارك " و " أمّ المصاعب " كيف

تطلبين من رجل اسم أمّه إن لم تكن حماتك أو مشروع حماة!
هنا كلّ واحدة و شطارتها.. و كلّ واحدة و غباء الرجل الذي عليها أن تفتك منه هذا الاسم قبل أن يفتك بها. و في هذا الموضوع بالذات لا أملك من أجلكن أيّة حيلة, فأنا لم آخذ الموضوع بعد مأخذ الجدّ. لكن لكوني روائية، قد أعود يومًا وأقترح عليكنّ بعض السيناريوهات لهذه المهمّة.
إنّ كلّ ذكائك الأنثويّ يقاس بهذا الامتحان.
إحدى الصديقات تنصحكن بالمباشرة بسؤاله عن اسم أمّه في أيام التعارف الأولى. فسعادته حينها بحبّ جديد , تجعله جاهزًا في البدء للبوح بأيّ شيء . بما في ذلك الأسرار العسكريّة التي أؤتمن عليها ويهدد الإفشاء بها أمن الدولة.
نصيحة أخرى من الصديقة نفسها. سجّلي الاسم فورًا في دفتر. تحسّبًا ليوم ستعلنين عليه النسيان و تنسين من جملة ما ستنسين في حملة " نفض الذاكرة " اسم أمّه، في الوقت الذي تحتاجينه الأكثر.. لتدعي عليه!
أدري أنّ رجالًا يقرؤون الآن هذه الصفحات و يقولون " أرأيتم كم النساء شريرات ! أيعقل أنّ تلك المرأة التي أحبّتنا بطيبة و حنان هي الآن تتضرّع لله كي يهلكنا؟".
أجيب: بلى.. نعم.. أجل يا رجل.
إنّه الظلم الذي يخرج امرأة عن طورها. ثمّ الأمر لا علاقة له بكوننا نساء فقد سمعتُ رجالًا يدعون على حبيباتهن لفرط الألم. فبعض النساء ظالمات و جبّارات أيضًا. القضية هنا تتعلّق بكوننا عاشقات.

لا بــدّ للأمــر أن يطمــئن الرجــال. فــأن تــدعو عليــك امــرأة يعنــي أنّهــا مــا زالــت تحبّــك. و أن تــدعو مــرّة لــك و مــرّة عليــك يعنــي أنّهــا لــم تفقــد الأمــل تمامًــا فــي عودتــك. ثــمّ إنّهــا أيضًــا تخــاف أن يســتجيب الله حقًّــا لــدعائها فــتجنّ و تكــون أوّل مــن يمــوت حزنًــا عليك!

لــذا مــن نعــم الله علينــا أنّــه لا يســتجيب لــدعاء المحبّــين لأنّهــم أصــلًا فــي حيــرة مــن أمــرهم لا يــدرون مــاذا يريــدون منــه بالتحديــد. و لنــا فــي جميــل بثينــة إمــام العشّــاق نموذجًــا عــن تذبــذب رأيّ المحبّــين و تنــاقض مطــالبهم و دعــواتهم وصــلًا و هجرًا.

فجميــل بثينــة الــذي سُــميَ علــى حبيبتــه لفــرط هيامــه بهــا. و القائل:

إذا خدّرت رجلي و كان شفاؤها دعاء الحبيب كنت أنت دعائيا

حــدث أن فقــد مــن لوعــة الهجــر صــوابه، و راح يــدعو علــى بثينــة بــالعمى. و هــو دعــاء يبــدو كأنّــه معمّــم علــى الرجــال منــذ الأزل و إلــى اليــوم. فقــد ســمعت قبــل عشــرين ســنة أحــدهم يــدعو فــي الجزائــر علــى قريبــة لــي رفضــت الــزواج منــه قائلًــا " الله يعميك و لا تجدي من يقودك !"

أمّــا جميــل بثينــة الــذي لقــي حبيبتــه بعــد تهــاجر كــان بينهمــا طالــت مدّتــه فتعاتبــا ســاعة. فقالــت لــه: ويحــك يــا جميــل تــزعم أنّــك تهواني و أنت الذي تقول:

رمى الله في عينيّ بثينة بالقذى و في الغرّ من أنيابها بالقوادح!

فأطرق طويلًا يبكي ثمّ قال بل أنا القائل:

ألا ليتني أعمى أصم تقودنـــي بثينة لا يخفى عليّ كلامـــها

فقالت: و ما حملك على هذه المنى ؟ أوليس في سعة العافية ما كفانا ؟

فكيـــف تريـــدون أن يســـتجيب الله لـــدعاء عاشـــق يـــدعو علـــى الحبيبـــة بـــالعمى، ثـــمّ ينـــدم علـــى هـــول دعائـــه عليهـــا فيعـــود باكيًـــا و يـــدعو علـــى نفســـه أن يعمـــى عوضًـــا عنهـــا و أن تكـــون هـــي مـــن تقوده !

تصـــوّرن لحظـــة لـــو أنّ الله اســـتجاب فـــي المـــرّتين لدعائـــه. أمـــا كان الاثنين قد عميا.

أدري أنّ كـــلّ هـــذا الكـــلام لـــن يثنـــي بعـــض القارئـــات عـــن الـــدعاء علـــى الحبيـــب أو علـــى الـــزوج الغـــادر. و أنّ لا شـــيء يطفـــئ حـــرقتهن غيـــر البكـــاء بـــين يـــديّ الله. شـــاكيات ظلـــم مـــن أحبـــبن و من أخلصن له فغدر بهن.

لأولئك أقول أبشرن " فمن ظلم العباد كان الله خصمه ".

و عنـــدما يكـــون الظلـــم حقيقـــيّ , و الجـــور و الأذى كبيـــرين , فـــلا بـــدّ لله ســـبحانه أن يثـــأر لكُـــنّ ممّـــن مكـــر بكـــنّ و هـــو خيـــر الماكرين.

للقارئـــات الموجوعـــات، الطالبـــات للســـلوان و النســـيان أقـــدّم هـــذه الأدعيـــة التـــي جمعتهـــا لكُـــنّ مـــن الصـــديقات و بعضـــها مـــن دعواتي الخاصّة.

و الآن يـــا شـــاطرات، إن فـــزتنّ بالحصـــول علـــى اســـم أمّـــه. علـــيكنّ اختيـــار التوقيـــت المناســـب لرفعهـــا إلـــى الســـماء. فـــإن فـــاتكن شـــهر رمضـــان و العشـــر الأواخـــر و ليلـــة القـــدر. علـــيكنّ بصـــلاة الفجـــر. فـــلا دعـــاء يـــردّ لواقـــف بـــين يـــديّ الله فـــي هـــذه

الساعة. صلين ركعتين ثم ابكين بحرقة المغدور بها. و ادعين بما شئتن من الدعوات المقترحة أدناه:

دعاء المؤمنة:

اللّهم اجعله نسيًا منسيًّا. اللّهم امسحه من قلبي كما مسحت الحزن من قلب محمد.

دعاء المظلومة:

انتقم يا ربّ يا منتقم على كلّ لحظة صدق كنت فيها معه صادقة وفيّة فجازاني عليها غدرًا و مكرًا. لتعد إن شاء الله عليه ألمًا عظيمًا.

دعاء التقيّة:

اللّهم أنت خصمه أوكلتك أمره فأشهدني فيه على جبروتك فقد كان يا ربّي جبّارًا.

دعاء الوليّة:

إن أوصلك أحدهم بأذاه حدّ المرارة، و اتهمك بما ليس فيك، و شهّر بك. ليكن دعاءك "اللّهم إنّي تصدّقتُ عليه بعرضي أنت الأدرى بي فكن وكيلي عليه".

دعاء الشريرة (سمعت هذا الدعاء قبل عشر سنوات من صديقة لبنانيّة تدعو به على رجل أحبّته):
"الله يبعتلو شلل و طولة عمر".

دعـــاء المخدوعـــة (دعـــاء ســـمعته فـــي المغـــرب العربـــيّ لإبطـــال الأداء الجنسيّ للرجل):
" يا ربّي اجعلو حيط و النساء خيط.. و حشمو مع كلّ مرا".
و هـــو أفظـــع دعـــاء و أمكـــره. فكيـــف لخـــيط أن يختـــرق حـــائط**!**
و مطلـــب هـــذا الـــدعاء أن "يتبهـــدل" الرجـــل مـــع كـــلّ امـــرأة حـــدّ استحيائه من نفسه**!**

أمّ الدعوات:

ستسألنني " و ما هو دعاؤك أنت؟ "
دعائي يا عزيزاتي ظاهره خير و باطنه شرّ:
" اللّهـــم أعطـــه مـــن كـــلّ مـــا أعطـــاني أضـــعافه ". و هـــو دعـــائي على كلّ من ظلمني.
لا أعـــرف دعـــاءً أكثـــر إنصـــافًا و أكثـــر مكـــرًا فـــي آن. لأنّـــك تعـــرفين تمامًـــا كـــم كـــان أذاه كبيـــرًا قياسًـــا إلـــى إحســـانه , و غـــدره مجحفًا مقارنةً بخيره.
بإمكـــانكنّ الآن أن تخلـــدن إلـــى النـــوم مطمئنـــات. أفضـــل للمـــرء أن ينام مظلومًا على أن ينام ظالمًا.

تذكّري ليلة الجديّ!

لا الألـــــــــم

بل مكانـه بعد أن يزول

مكانــــه الــــذي لـــــه

يبقــــــــى موجعًـــــــا

لشــــدّة مــــا يــــزول

بسام حجّار

ثمّة حكمة بدويّة يحلو لأمّي أن ترويها.

+ يقــال أنّ امــرأة مــن إحــدى قبائــل البــدو المقيمــين فــي الجنــوب الجزائــريّ. ذهبــت مــرّة تــزور ابنتهــا التــي تزوّجــت و انتقلــت للعيش في كنف قبيلة أخرى.

ففرحــت البنــت بمجــيء أمّهــا أيّــة ســعادة. و ذبحــت جــديًا احتفــاءً بهــا. حــين عــاد زوجهــا فــي المســاء ذهــب قبــل أن يــدخل الخيمــة يتفقّــد أغنامــه. فــإذا بجــديّ يــنقص مــن الحســاب. فــدخل علــى زوجتــه فوجــدها تعــدّ العشــاء. فــراح يضــربها ضــربًا مبرّحًــا لأنّهــا ذبحت الجديّ.

مــــن قهرهـــا، تظـــاهرت الأمّ بـــالنوم و لـــم تتنـــاول العشـــاء. و قبـــل الفجـــر شـــدّت الرحـــال إلـــى قبيلتهـــا. بعـــد فتـــرة جاءهـــا مرسول بين القبائل يخبرها بوفاة زوج ابنتها.
فـــذهبت لزيارتهـــا فوجـــدتها أرضًـــا تجـــذب شـــعرها و تلقـــي الأتربـــة علـــى نفســـها حـــدادًا و أسًـــى علـــى زوج " تمنّـــت لـــو التـــراب غطّاهـــا بعده ".
فقالـــت لهـــا الأم و هـــي تراهـــا فـــي تلـــك الحالـــة " ابكـــي.. ابكـــي.. و زيّنـــي بْكـــاك.. و اذكـــري ليلـــة الجـــديّ " . فتـــذكّرت المـــرأة حينهـــا كـــم بكـــت علـــى يـــد زوجهـــا فـــي ليلـــة الجـــديّ يـــوم أبرحهـــا ضـــربًا عـــن ظلـــم. فتوقّفـــت عـــن البكـــاء و قامـــت و نفضـــت عنهـــا التـــراب.
و سرى هذا القول حكمة بين النساء منذ ذلك الحين.
قبـــل أن تبكـــي رجلًـــا و تلطمـــي و تشـــقّي ثيابـــك. تـــذكّري " ليلـــة الجـــديّ ". و تلـــك الكـــدمات التـــي اخترقـــت زرقتهـــا قلبـــك. ذلـــك التجـــريح... و تلـــك الإهانـــات. التـــي كـــان الحـــبّ يغفرهـــا و يخفيهـــا. و هـــا هـــي اليـــوم الـــذاكرة تعرّيهـــا. بعـــد أن رفـــع عنهـــا الحبّ الحصانة.
صـــديقة صـــحافيّة، ظلّـــت تهـــذي بحـــبّ رجـــل كمجنونـــة و تصـــفه لـــي علـــى مـــدى ثـــلاث ســـنوات كمـــا لـــو كـــان ابـــن زيـــدون فـــي حبّـــه الخرافـــيّ لـــولادة بنـــت المســـتكفي. كـــان الأروع كـــان الأصـــدق كـــان ملكًـــا علـــى الرجـــال. لكنّـــه كـــان فـــي لحظـــات غضـــبه يقـــول لهـــا أشـــياء موجعـــة اعترفـــت بهـــا لـــي الآن فقـــط بعـــد مضـــي ســـنوات. لأن بإمكانهـــا الآن أن تحكـــي عنهـــا. قـــال لهـــا مـــرّة " أنـــت كذبـــة كبـــرى.. أتعتقـــدين أنّـــك صـــحافيّة كبيـــرة.. ثمّـــة مليـــون امـــرأة أهـــمّ

منــك و أجمــل منــك... " فلانـــة " مثلًـــا أشــرف منــك مليــون مــرة. تتمنّى لو فقط سلّمت عليها و لا أفعل..".
مضـــت ســنوات و مــا اســتطاعت صــديقتي أن تنســى أن يعايرهــا الرجل الذي أحبّته بامرأة أقلّ منها شأنًا ونبلًا.
" فلانـــة " هــذه كانــت صــحافيّة جــاهزة لتبيــع نفســها مقابــل أن تحضــر مــؤتمرًا فــي الخــارج. كــلّ مــا يعنيهــا أن تتواجــد فــي كــلّ مكــان عســاها تحقّــق شــهرة مــا. بينمــا كانــت صــديقتي تــأبى أن تــدقّ بــاب مــدراء المؤسّســات الإعلاميّــة، وتــرفض أن تســتباح كرامتها مقابل أيّ مكسب مهما غلا.
لــذا ظلّــت لفتــرة دون عمــل كــي لا تعطيــه ســببًا للغيــرة. مــا كــان لهــا مــن شــغل إلّــا تــدليل الرجــل الــذي تركــت كــلّ شــيء مــن أجلــه عســاه يطمــئنّ و يتزوّجهــا. لكنّــه لــم يطمــئنّ بــرغم ذلــك و لا كــان معنيًّــا بــالفرص التــي أضــاعها عليهــا. و فــي ليلــة مــن ليــالي " الجــديّ " راح يضــربها بمــا أوتــي مــن ذكــورة بعــد أن خيّــل لــه أنّه رآها تبتسم أثناء العشاء للنادل!
أسالها مدهوشة " كيف بقيت مع رجل كهذا ؟"
تــردّ " كانــت لــه خصــال جميلــة خصــال نــادرة تنســيني عيوبــه. كــان حنونًــا و وفيًّــا و شــريفًا و كــريم الــنفس. لكنّــه كــان عــدوانيًّا فــي غيرتــه، كثيــر الشــكوك عنيفًــا فــي لفظــه، نوبــات غضــبه لا منطــق لهــا و لا تطــاق. حتــى عنــدما أتــذكّرها الآن أبكــي كمــا لــو أنّي أعيشها من جديد".
ذلــك أنّ الألــم يســتيقظ متــأخّرًا. إنّــه يعــيش طويلًــا.. بعــد الــذكريات الجميلة.

الألـــم هـــو ظلـــم الآخـــر لـــك. و تجنّيـــه عليـــك. هـــو قســـمك الـــذي لا يصـــــدّقه. و صـــــدقك الـــــذي يشـــكّك فيـــــه. و دموعـــــك التـــــي يسترخصها.

ثمّ ذات يوم تقولين "كفى"!!

لا يمكـــن لظلـــم كهـــذا أن يكـــون حبًّـــا. ستصـــفقين البـــاب خلفـــك و تمضـــين. لتتركينـــه لملايـــين النســـاء اللائـــي كـــان يـــراهن " الأهـــم " و " الأشـــــــــرف " و " الأجمـــــــــل " و " الأصـــــــــدق "... و " ال...". هو لهن الآن. ما عاد الأمر يعنيك.

حزمـــت صـــديقتي حقيبتهـــا إلـــى نيويـــورك لتعمـــل فـــي الأمـــم المتحـــدة. لـــم تأخـــذ معهـــا دموعًـــا و لا نـــدم. أخـــذت ذكـــرى ليلـــة الجديّ !

كلام أقلّ...

ينبغـــي للإنســـان الـــذي يريـــد أن يعـــيش أن يقـــول نصـــف الحقيقـــة و يخفي نصف الشعور.

جان كوكتو

المشــكل عبــارة عــن مجمــوع كلمــات إذا دخلــت حوزتهــا تصــبح ألقًا.

إنّهــا فتيــل يمكــن إطفــاؤه بالتســامح أو بكلمــة اعتــذار مــن الطــرف المخطــئ فتنــازل أحــد الطــرفين عــن كبريائــه أو عــن حقّــه لا يعــدّ خســارة بــل هــي التضــحية الجميلــة التــي ســيكبر بهــا فــي عــين الحبيب و ينقذ بها الحبّ من فكيّ التحدي.

لكــن هــذا " المشــكل الفتيــل "، قــد يتحــوّل بالعنــاد إلــى نــار لا يمكــن الســيطرة عليهــا حــين تتغــذّى مــن حطــب الكلمــات القاســية التــي احتفظ بها كلّ واحد في قلبه ليوم كهذا.

الخلافــات العاطفيّــة تكبــر لأنّنــا عنــد كــلّ خــلاف لا نواجــه المشــكل الجديــد الطــارئ. بــل نعــود فــي مواجهتنــا مــع الطــرف الآخــر إلــى اســتعراض قائمــة المشــاكل و التــي يستعرضــها الرجــل غالبًــا فــي كــلّ مناســبة، واحــدة، واحــدة، ضــمن لائحــة المآخــذ و الــتهم التــي جمعهــا علــى مــدى العلاقــة مــن يــوم لقائكمــا... و إلــى يــوم القيامــة. مرفوقــة بكــلّ مــا أســدى إليــك مــن خــدمات عاطفيّــة يــوم

انتشلك من حزن سابق و غفر لك أخطاء اقترفت معظمها حبًّا فيه.
يفعل ذلك على طريقة فيديل كاسترو الذي كانت بعض خطبه تدوم سبع ساعات بسبب إصراره كلّ مرّة على تذكير الشعب الكوبي بكلّ ما حقّق له من إنجازات و منّ عليه من رفاهيّة خلال نصف قرن من الحكم. و كان الوقت يمتدّ إلى حدّ يكفي معه لمستمعيه المساكين أن يمرض منهم من كان معافًى و يموت من كان مريضًا.
و تحبل نساء و تنجب من يفاجئها المخاض أثناء الخطاب المفدّى و حدث للرفيق الإله أن كان هو من سقط فاقدًا الوعي لفرط كلامه.
فلا تدعن الكلمات تغتال العشّاق.
و قد كان يكفي كلمة واحدة لإنقاذ العشق !

نصيحة:

من الرجال من لا يعلم أنّ الكلمات كالرصاصة لا تسترد.
و قد يفرغ فيك في لحظة غضب ذخيرته من الكلام الذي يفاجئك بأذاه. فما توقّعت ذلك الحبيب قادرًا على حمل ذلك الكمّ من الشر في نفسه.
إنّ الغضب يفضح طينة الرجال. و قد قال أحد الحكماء ناصحًا " من غضب منك ثلاث مرات و لم يقل فيك شرًا اختره صاحبًا ".

و قال الأحنف بن عيسى " يا بنيّ إذا أردت أن تصاحب رجلًا فأغضبه، فإن أنصفك من نفسه فلا تدع صحبته، و إلّا فاحذره ".

احذري رجلًا سريع الغضب. يصعب عليه السيطرة على انفعالاته أيًّا كانت خصاله، و ربما كانت خصاله لا تعدّ و كان له قلبًا طيّبًا. و كان حبيبًا نادرًا. لكن نوبة غضب واحدة يلقي فيها عليك بحممه و بالجمر المتطاير من فمه. سيحوّل قلبك إلى مدينة مدمّرة (كشرنوبيل) يصعب عودة الحياة النقيّة إلى رئتيها.

خراب ما كان جميلًا

" و كما خرّبت حياتك هنا في هذه الزاوية الصغيرة ـ
فهي خراب أنّى ذهبت "

كافافي

دعاني إلى فنجان شايٍّ بمناسبة مروره ببيروت. على غير عادتي قبلت الدعوة. قلت عساه يحتاجني رسولة لصديقتي التي انقطع عنها منذ أشهر.

قال و قد أشعل سيجارته الثالثة :

- لقد شفيت منها و سأحبّ - ثمّ كرّر بصوت أعلى- سأحبّ !

لم أقل له أنّ حبًّا تسبقه نواياه ليس حبًّا. و أنّ رجلًا في نيّته أن يحبّ لا يحتاج إلى إعلان ذلك بصوت عالٍ. و لا أن يوصل الخبر لمن شفي منها.

كانت ملامحه أكثر قسوة و تعبًا من أن تتوافق مع ما يتلفّظ به. كانت من يدّعي الشفاء منها قد تفشّت فيه كما تفشّى فيها. و كان حبّهما كمرض خبيث في مراحله الأخيرة قد شوّه كلّ شيء.

رجل دمّره الشكّ يجلس أمامي. ليس لظنونه من منطق. لكنّه يصرّ عليها. فهو يحتاج أن يكون الضحية ليشفى. إقناعه

بالعكس يخلّ توازنه و يطيح بالملف الذي بنى عليه دفاعه و يجترّه دون كلل.
طلبني ليشهدني على خراب حبّ كبير. رجل عهدته راقيًا و شهما يطلق الآن رصاصه الطائش كيفما اتفقّ على من أحبّ. يعرض اطلاعي على رسائلها الهاتفية إليه.

أقول :

- هذه امرأة تمنّت أن تسبقك إلى الموت حتى لا تغادر قبلها. فكيف تغادرها حيًّا و تتخلّى عنها

يردّ :

- أنت مخدوعة بها مثلي.

لا أمل. هو الذي كان يغار عليها من ثيابها قال، أنّ أسعد أيّامه يوم يسمع أنّها سعيدة مع رجل آخر !
نكتة ما استطعت أن أضحك لها. كانت خارجة من عمق الألم و القهر.
كم يكون قد تعذّب ليقول كلامًا كهذا. و كم تعذّبت صديقتي التي أعطت و ما استبقت لنفسها شيئًا. لأنّها ما توقّعت أن يجيء يوم كهذا !
كم انتظرته و قالت كلّما أغريتها بإنهاء عذابها، و فتح قلبها لغيره " لا بعده إلّا التراب !"
هو لا يصدّق شيئًا مما أقوله عنها.
دافعت عن أسطورة حبّهما ما استطعت. لكن الألم أعماه عن سماع صوت غير صوت وسواسه و غيرته.
فكّرت أنّه برغم ذلك لم يلامس عمق القهر بعد، سيبلغه بعد سنوات، عندما يكون الحبّ بينهما قد مات و يكون قد أحبّ

أخـــرى، و أحبّـــت هـــي ســـواه. و يلتقيـــان مصـــادفة فـــي مســـاء الحياة. و قد انطفأت بينهما الحرائق.
يومهـا فقـط، و هـي تـروي لـه تفاصـيل حـدادها عليـه و وفائهـا لـه سيصـدّقها، و يخترقـه الخنجـر الصـدئ للنـدم.. كيـف تركهـا مـن يأسها فيه تمضي لسواه ؟!
حـين افترقنـا كـان خرابـه قـد انتقـل إلـى قلبـي. خفـت علـى الحـب ممـا رأيـت. خفـت علـى كـلّ حـبّ حاضـرًا و مسـتقبلًا. و حزنـت مسبقًا من أجل كلّ عشاق العالم.
+إن كـان صـرحًا كـذاك ينتهـي هكـذا فعلـى الـدنيا السـلام. أيّـة جدوى ممّا نكتبه عن الحبّ إذن ؟
كانـا يعتقـدان أنّ حبّهمـا أقـوى حتـى مـن المـوت. لكـن حبًّـا أقـوى مـن المـوت لا يقـوى علـى أصـغر حشـرة. تلـك السوسـة اللامرئيّـة للشـكّ التـي تنخـر بوسواسـها شـجرة الحـبّ مـن الـداخل سـتجعلها تهـوي ذات يـوم بطولهـا الفـارع أرضًـا بـرغم أوراقهـا الخضراء.
افترقنـا ، رأيتـه يبتعـد بخطًـى واسـعة كرجـل مسـرع نحـو قـدر ما.

***

الرجـل المنتعـل نسـيانه
نسـي أن يـربط حبـل حذائـه
حتمًـا
سـيتعثّر بالـذكريات

تجمّلي بذاكرة البدايات

"بنيت قصورًا فاتنة إلى حدّ أنّ خرائبها الآن تكفيني"

كان عليّ أن أنقل رسالة النهاية إلى صديقتي.
كيف أقول لها أنّ الرجل الذي أوقفت حياتها عليه أصبحت خارج حياته. لماذا لم يبلغها بقراره قبل أشهر ؟ حتما كان قصده هدر المزيد من وقتها فبينما كان هو يتداوى منها.. كانت هي في انتظاره تمرض به !
خفت عليها أن تنهار لسماع الخبر. فقد كانت تثق في عودته. ذلك الحريق الجميل الذي اشتعل بينهما و أضاء العالم. مهما حدث ستبقى منه شررات متناثرة في القلب جاهزة لإضرام نار الحنين فيهما. لكنه أراد إشعارها أنّ كلّ شيء بما في ذلك الذكرى الجميلة بينهما قد انطفأت .

+ حضرتني قصّة أخي ياسين يوم في حادث مريع حطّم سيارة أختي الجديدة. حين قادها أثناء زيارته للجزائر و خرج من الحادث حيًّا بأعجوبة.
قال لها يومها و هو يعود إلى البيت تحسبًا لرد فعلها:
- عندي لك خبران. الأوّل خبر سعيد و الثاني خبر سيء.. بماذا أبدأ ؟

أجابت صوفيا مندهشة:

بالخبر السعيد

قال :

كسبت أخًا.. لقد بعثت اليوم حيًّا!

سألته عجلى :

- و الخبر السيء ؟

قال :

- لقد خسرت سيارتك.. لقد تحطّمت تمامًا !.

حين رأت صوفيا حال السيارة التي خرج منها ياسين حيًّا. نسيت خسارتها المادية على فداحتها، و ظلّت لأيّام كلّما رأت ياسين حمدت الله على بقائه حيًّا.

دخلت على صديقتي. فوجدتها تنتظر بلهفة تقريري عن ذلك اللقاء. قلت لها و أنا أقاسمها قهوة.

- عندي لك خبران. خبر جميل و آخر سيء. بماذا أبدأ ؟

قالت مذعورة:

- بالخبر الجميل.

قلت:

- أبشري لقد كسبت نفسك.

سألت عجلى:

- و الخبر السيء؟
- لقد خسرت ذلك الرجل.

أعادت فنجان القهوة إلى الطاولة و لمعت دمعة في عينيها.

قلت:

- لا تحزني ما عاد من شيء يمكن إنقاذه. هو نفسه ما عاد يشبه نفسه.

قالت:

- مثله لا يتغير

قلت :

- سوءالظن عندما يتمكن من أحد يغيره

قالت:

- أأخبرته كم أخلصت له؟

قلت :

- ربما في أعماقه هو يدري ذلك. لكن صوت تلك " السوسة " كان أعلى من صوت قلبه. لقد قال فيك كلامًا موجعًا أراد حتمًا أن أنقله لك، لو سمعته لمتّ قهرًا..

- أريد أن أسمعه

- لا داعي لمزيد من الألم

- لا ترأفي بي أريد أن أعرف كيف يتحدّث عنّي الرجل الذي أحببت حدّ الموت ويريد اليوم موتي

- ليس هو الذي كان يتكلّم. هذه لغة تلك الحشرة. التي تنخر قلبه هو رجل نبيل و شهم. لو لم يكن كذلك لما كنت أحببته أصلًا.

- لكنّني أفوقه نبلا ما ذكرته يومًا إلّا بالخير. لماذا يشوّه الرجال امرأة عندما يغادرون ؟ لماذا يلوكون شرفها في المجالس ؟ أليس لهم أخوات ؟ أليس لهم بنات ؟

قلت و أنا أرى دموعها:

- لا تبكـــي إن مـــن يشـــوّه امـــرأة أحبّتـــه لا يشـــوّه الا نفســـه و يبشّـــع مـــا كـــان جمـــيلا فـــي ماضـــيه, و ذاكرتـــه لـــن تغفـــر لـــه ذلـــك. هـــل تعـــرفين قصاصـًــا أكبـــر مـــن هـــذا أن يلتفـــت المـــرء إلـــى الخلـــف فـــلا يـــرى إلّـــا الخـــراب؟ لا تزايـــدي عليـــه بشـــاعة و دمـــارًا.. أبقيـــه جميلًـــا فـــي ذاكرتـــك. لا تتـــذكّري منـــه إلّـــا مـــا كـــان جميلًـــا و اســـتثنائيًّا بينكمـــا. لحظـــة الحـــبّ الخرافيّـــة يـــوم رأيتـــه لأوّل مـــرة. أوّل رســـالة هاتفيـــة وصـــلتك منـــه.. أوّل مـــرّة دقّ هاتفـــك و كـــان هـــو علـــى الخـــط.. أوّل مـــرة قبّلـــك فخانتـــك رجـــلاك.. أوّل مـــرّة انتظـــرك عنـــد بوابـــة مطـــار.. أوّل مـــرة جلـــس أمامـــك فـــي مطعـــم.. تـــوقّفي عنـــد روعـــة البـــدايات و دعـــي لـــه بشـــاعة النهايـــات. مـــا دام هـــو الـــذي اختارهـــا. صـــدّقيني عنـــدما تتـــرفّعين عـــن أذاه و تغفـــري ظلمـــه لـــك ستصـــبحين أجمـــل. و ســـيمكنك حينهـــا أن تحبّي من جديد بسعادة أكبر.
- لكنّني ما كنت أريد أن أحبّ يومًا سواه.
- بـــرغم ذلـــك لـــن تســـتطيعي بعـــد الآن أن تحبّـــي رجلًـــا أرســـل لك معي كيسًا من التهم و الإهانات.

لا مفـــرّ ربمـــا كانـــت تحتـــاج أن تســـمع أذاه لتشـــفى منـــه. فتحـــت الكـــيس. قلـــت لهـــا كـــلّ شـــيء دفعـــة واحـــدة. وصـــفت لهـــا شـــظايا الرصـــاص الـــذي تلقيتـــه نيابـــة عنهـــا. ظلّـــت تســـألني عـــن كـــلّ التفاصـــيل. عـــن كـــلّ كلمـــة قالهـــا. عـــن عـــدد الســـجائر التـــي دخنهـــا. عـــن الثيـــاب التـــي كـــان يرتـــديها. عـــن لـــون شـــعره بعـــدها. عـــن الساعة التي وصل و غادر فيها.

ثـمّ.. كمـا لـو أنّهـا تناولـت جرعـات الـدواء دفعـة واحـدة. أصـبحت خـلال لحظـة امـرأة أخـرى. ثمّـة مـن يولـد مـن طعنـة. و ثمّـة مـن يموت في قلبنا إثرها.
مـا رأيتهـا بعـد ذلـك تبكيـه أو تـأتي علـى ذكـره. لكنّهـا كانـت تبـدو لي أجمل في كلّ مرة ألتقيها.

***

لا يولـد البشـر مـرّة واحـدة يـوم تلـدهم أمّهـاتهم و حسـب، فالحياة ترغمهم على أن ينجبوا أنفسهم.

غبريال غارسيا ماركيز

من قصص النساء الغبيات

يعتقـد الرجـل أنّـه بلـغ غايتـه إذا استسـلمت المـرأة لـه. بينمـا تعتقـد المـرأة أنّهـا لا تبلـغ غايتهـا إلّـا إذا شـعرت أن الرجـل قـد قدّر ما قدمته له

بلزاك

القصّة الأولى

لا تتنهدن بعد الآن أيّتها النساء. لا تتنهدن أبدًا. فالرجال خادعون أبدًا

شكسبير

كانـــت تقـــيس حبّـــه لهـــا بالســـجائر التـــي لا يـــدخنها. تقـــول " كـــلّ ســـيجارة لا تشـــعلها هـــي يـــوم تهـــديني إيّـــاه . يضـــاف إلـــى عمـــر حبّنا.
كـــم منّـــت نفســـها بإنقـــاذه مـــن النيكـــوتين. لكنّـــه يـــوم أقلـــع عـــن التـــدخين، أطفـــأ آخـــر ســـيجارة فـــي منفضـــة قلبهـــا. تركهـــا رمـــاد امرأة. و أهدى أيّامه القادمة لامرأة تدخّن الرجال.

القصّة الثانية

المرأة ناقة تساعد الرجل على اجتياز الصحراء

حيث سافرت، كانت تشتري له جاكيتًا و بدلات و ربطات عنق و قمصان. حتى كلّما خلع شيئًا منها عاد فارتداها. و عندما فاضت خزانة قلبه بحبّها. خلعها و ارتدى امرأة سواها. فقد أصبح أكثر أناقة من أن يرتدي " أسمال حبّ ".

القصّة الثالثة

إنّ المرأة إذا تعلّقت بالرجل كانت أسبق منه إلى التصديق، وكان خداعه إيّاها أسهل من خداعها إيّاه..

عباس محمود العقاد

كلّما نزل هاتف جديد إلى الأسواق، أهدته إيّاه. كي تطيل عمر صوته و كي يكون لها من أنفاسه نصيب. أمنيتها كانت أن تصير الممرّ الحتميّ لكلماته. أن تقتسم مع الهاتف لمسته. أن تضمن لها مكانًا في جيب سترته. أن تكون في متناول قلبه و يده.

بعد الهاتف الثالث، طلّقها بالثلاث. ترك قلبها للعراء خارج " مجال التغطية ".

و دون أن يقول شيئًا. دون أن يقدّم شروحًا. أعلن نفسه " خارج الخدمة ".

في الواقع، كان قد بدأ يعمل خادمًا بدوام كامل لدى امرأة يقال أنّها تدعى " الخيانة ".

القصّة الرابعة

" الجمال يوجد في عين الذي ينظر إليه "

أعــوام و هـــي تقــول لـــه " كــم أنـــت وســيم ". كانـــت تــراه بعيـــون القلـــب. و عيـــون الماضـــي و عيـــون الغـــد. و عيـــون النعمـــة. و عيـــون الامتنـــان للحيـــاة. و عيـــون الأغـــاني و عيـــون الأشـــعار. و عيون النساء و عيون الوفاء.. و عيون الغباء.
كــلّ عيونهــا كانـــت مشــغولة بتلميــع تمثالــه. يــوم أحبّتــه غــدت كلّهــا عيون.
مـــا تركـــت لنفســـها مـــن آذان لتســـأل: لمـــاذا لـــم يقـــل لهـــا يومًـــا " كـــم أنـــت جميلـــة " ! بينمـــا كـــلّ العيـــون مـــن حولهـــا كانـــت تقـــول لهـــا ذلـــك كـــان حبّهـــا فضفاضًـــا إلـــى حـــدّ غطّـــى كـــلّ عيـــب فيـــه. و حبّـــه ضـــيّقًا إلـــى حـــدّ، لـــم تبـــق شـــعرة فـــي وجههـــا لـــم يطالهـــا الملقط إلّا و رآها.

القصّة الخامسة

المرأة تحيا لتسعد بالحبّ . . والرجل يحبّ ليسعد بالحياة

جان جاك روسو

ما كانت قبله امرأة و لا كان قبلها حيًّا.

يوم التقت به كان موليًا ظهره للحياة.لم يغازل قبلها غير الموت , يستعجل الرحيل. يقتل الوقت بإطلاق النار على أيامه، كما في لعبة إلكترونيّة.

أحبّت شاعرية كآبته. نخوته. براءة مشاعره. إخلاصه لذاكرته. طفولته المتأخرة. راحت تنفخ فيه من حياتها ليحيا، كما لو كانت أمّه. تقاسمت معه أنفاسها حمته بخوفها. حبّبت له الجمال و الفصول و المطر و البحر و السفر و الشعر و البوح و الرقص. حبّبت له أن يحبّ. أن يكون رجلًا. أهدته كنوز الأمل حتى ينسى طريقه إلى ضرّتها... المقبرة.

ذات يوم جاءها في كلّ أناقته. سعيدا كما لم يكن يوما إرتدى البدلة التي اشتراها معها. دعاها إلى نزهة بمناسبة تخرّجه من مدرسة البهجة.

+ في السيارة وضع أغانٍ كانا يرقصان عليها معًا. لحقت به فرحى. لكنّه أوقف السيارة فجأة و طلب منها أن تنزل.

+ تركها عند باب المقبرة ترتجف غير مصدقة . و مضى يعقد قرانه على...الحياة.

القصّة السادسة

لم تطلب من الله سوى أن يبعث لها رجلًا. يحبّها و يحميها. يهديها اسمه و تهديه ذريّة صالحة. و عندما دخل حياتها أمير لم تصدّق سخاء القدر. حطّت طائرته في قلبها و نزل منها تسبقه سلال الورود و الهدايا و وشوشات هاتفيّة تقول " ستكونين لي ".

أيام من الدوار العشقي... ثمّ فتحت عينيها يومًا على أزيز طائرته. طار الحلم نحو امرأة أخرى و معه حلمها بثوب أبيض .

+ ما زالت منذ أعوام في المطار تراقب حالة الهبوط و الإقلاع. هي لا تتوقع عودته. لكن ما عاد بإمكانها أن ترضى بغير حبّ يأتي من السماء في طائرة خاصّة.. ما استطاعت أن تنسى أنّها كانت يومًا أميرة.. لكنّها نسيت لأعوام أن تعيش كامرأة.

* * *

معظم الأمراء كالأطفال مفرطون في الدلال لكنهم سريعوا النسيان .

جان لورون دالميير

القصّة السابعة

أحبّهـا. دلّلهـا. عشـقها.. خـاف عليهـا. حماهـا. بكاهـا. أبكاهـا. مـا غـار عليهـا مـن الآخـرين، غـار عليهـا مـن الفشـل. أرادهـا كبيـرة كمـا لـو أنّـه أنجبهـا. أرادهـا الأولـى فـي كـلّ مـادة. قسـا عليهـا كـي لا تقبـل بأقـلّ مـن القمّـة. صـقلها كـي تلمـع كالماسـة حيثمـا وُجـدت. وضـعها أعلـى السـلم ثـم سـحب مـن تحتهـا السـلم حتـى لا تنـزل درجة عن أحلامه.

عبـر حياتهـا كنهـر، و مضـى إلـى مصـبّه صـوب البحـر دون أن يلتفت إلى الخير الذي تركه على ضفافها...

تلـك الأبـوّة العاشـقة حـين تنسـحب تتـرك خلفهـا مـذاق يُـتم أبـديّ. ما استطاعت نسيانها.

.لتشـفى منـه راحـت تقلّـده.. أصـبحت أمّ مـن أحبّـت بعـده. أحبّتـه دللتـه. عشـقته. خافـت عليـه. حمتـه. بكتـه. أبكتـه. مـا غـارت عليـه مـن الأخريـات، غـارت عليـه مـن الفشـل. أرادتـه كبيـرًا كمـا لـو أنّها أنجبته. و خذلها ذلك الرجل...

[الحبّ يُنتقم لنفسه].

تانغو النسيان

كان ذلك غدًا لأنّي ما زلت أحبّك
كان ذلك البارحة لأنّك نسيتنـــي

غادة السمان

الحذاء الموجع.. لحبّ جديد

نحن نرتدي قلوبنا على أقدامنا.. إنّ الأحذية هي أفضل المؤشّرات على ما يمرّ به الناس من حالات شعورية. الأحذية مزيّنة بالثقوب و أحيانًا بالندوب

جون سوان (متخصّصة في تاريخ الأحذية)

الحبّ يؤسس نفسه على ذاكرة جديدة. يحتاج إلى نادل ينظّف طاولة الحبّ ينفض عنها الغطاء قبل أن يجلسك عليها.
نهرب من الذكريات المفترسة. إلى حبّ جديد سيفترسنا لاحقًا. لكنّنا نريده برغم ذلك، هربًا من حبّ سابق. نحن تمامًا كمن يهرب من حريق يشبّ في بيته، بإلقاء نفسه من أعلى طابق. لا يهمه أن يتهشّم. المهم ألّا يموت محترقًا. أن ينجو بجلده من ألسنة النار. و لا يتنبّه لحظتها إلى ما ينتظره أرضًا و هو يلقي بنفسه إلى المجهول.

عندما تلجأ إلى حبّ جديد لتنسى حبًّا كبيرًا. توقع ألّا تجد حبًّا على مقاسك.

سيكون موجعًا مزعجًا كحذاء جديد. تريده لأنّه أنيق و ربما ثمين. لأنّه يتماشى مع بدلتك لكنّه لا يتماشى مع قلبك. و لن تعرف كيف تمشي به. ستقنع نفسك لمدة قصيرة أو طويلة وأنّك إن جاهدت قليلًا بإمكانك انتعاله. لكنّ "صانع الحذاء يريدنا أن نتألم كي نتذكّره". ستدّعي أن الجرح الذي يتركه على قدمك هو جرح سطحي يمكن معالجته بضمادة لاصقة. كلّ هذا صحيح. لكنك غالبًا ما لا تستطيع أن تمشي بهذا الحذاء مسافات طويلة. قدمك لا تريده. لقد أخذ على حذاء قديم مهترئ.. مشى به سنوات. و لهذا قال القدماء " قديمك نديمك " وأنت في كل خطوة تتقدمها لا تملك الا أن تعود بقلبك الى الوراء .

قد تقول لك صديقات و أنت تسيرين مع رجل وسيم أو ثري أو مهمّ " كم أنت محظوظة بهذا الرجل! " وحده قلبك الذي تنتعلينه و يمشي بصعوبة إلى جوارك.. يطالبك بالعودة إلى البيت و إخراج ذلك الحذاء القديم من صندوق الماضي.

حين حاولت إقناع كاميليا بفتح قلبها لحبّ جديد. و القبول بالحديث إلى رجل آخر و لو على الهاتف. رفضت الفكرة تمامًا. قالت " إن خانه هاتفي سيخونه غدًا قلبي و بعدها جسدي. ألست من قلت إنّ حبًّا كبيرًا و هو يموت أجمل من حبّ صغير يولد ؟"

أسقط بيدي. قلت " بلى ". قالت " ما أريده منك هو أن تساعديني على البقاء على قيد الحياة بينما داخلي يموت هذا

الحـــبّ الكبيـــر. لا أريـــد أن أفـــوّت يومًـــا.. أو لحظـــة مـــن احتضـــاره العظـــيم. للأســـد هيبـــة فـــي موتـــه ليســـت للكلـــب فـــي حياتـــه. حتـــى و هو يموت لن أستبدل بجثّة هذا الأسد رفقة كلاب سائبة ! "

مشـــكلتي مـــع صـــديقاتي أنّهـــن قارئـــاتي. و حـــين يشـــهرن فـــي وجهـــي كلمـــاتي يهزمننـــي. مـــا عـــدت أعـــرف لكاميليـــا دواءً. فهـــي تريـــد أن تنســـى و لا تريـــد. و تريـــد أن تشـــفى و لا تريـــد. و تريـــد حـــذاءها القـــديم و تـــدري أنّهـــا فـــي النهايـــة يـــوم تتأكّـــد مـــن أنّـــه اهتـــرى تمامًـــا و لا اســـكافيّ يمكنـــه إصـــلاحه. ســـتحتاج إلـــى حـــذاء جديد كي لا تواصل الحياة حافية !

علـــى اللائـــي يشـــقين فـــي الحيـــاة بســـبب ألـــم حـــذاء جديـــد أو ذكـــرى حـــذاء قـــديم، أن يحمـــدن الله كثيـــرًا علـــى نعمـــة امـــتلاكهن أقـــدامًا. أعنـــي قلبًـــا مشـــين بـــه فـــي دروب الحـــبّ. ثمّـــة مـــن جـــاء و مضـــى مـــن دون أن يبـــرح مكانـــه. لـــم تمنحـــه الحيـــاة قـــدمين.. عاشـــقين . و أولئـــك لـــم يمـــنّ علـــيهم الله حتّـــى بنعمـــة الشـــقاء والعـــذاب مـــن الحبّ.

***

بقيت أتذمر من عدم امتلاكي حذاءً حتى رأيت رجلًا بلا قدمين

كونفوشيوس

طائر الحبّ الذي ما كنت تنتظرينه

لن أبقى طويلًا هنا.. لكن جميل أن تأتي

عباس بيضون

شهران و أنا أواظب على مهاتفتها يوميًّا كي لا تضيع جهودي سدًى. فقد تعلّمت أنّ في الحبّ كما مع المضادات الحيويّة لا بد من إتمام العلاج حتى آخر يوم و آخر حبّة دواء. تفاديًا للانتكاسات العاطفيّة التي لا يعد يفيد معها شيء بعد ذلك حين يستفحل داء الحبّ و يعود أقوى.

كانت صديقتي في تحسّن دائم. لكنّها كانت تحتاج إلى حبّ لتعود إلى الحياة. طبّقت كلّ نصائحي أصبحت أكثر جمالًا و اهتمامًا بنفسها. أصبحت أكثر انشغالًا بهواياتها. لكن لا رجل دخل حياتها ربما لأنّها ما زالت تحرس باب القفص تنتظر منذ عام عودة طائر الحبّ الذي مضى.

هاتفتها ذات مساء أعرض عليها مرافقتي الى أمسية شعرية لشاعر كبير يزور بيروت. لم أترك لها مجالًا للرفض. قلت " سأمرّ لأصطحبك معي كوني جاهزة.. أعني كوني جميلة بعد الآن سأصطحبك إلى كلّ مناسبة ثقافية..".

أمام كسلها و ترددها قلت " غادري القفص طائرك لن يعود طالما ذبذباتك تقول له أنّك في انتظاره. نسيت أن أعلّمك الدرس الأهم. فقط عندما لا تنتظرين الحبّ يعود. و عندما لا تتحرّشين به يجيء صاعقًا و فتاكًا كما أوّل مرة.

عندما نزلت من البيت. كدت أشهق و أنا أراها قادمة. صحت بها ممازحة " أنا مجنونة لأدخل إلى الصالة معك.. كم أنت جميلة اليوم ! " قبّلتني و قالت " بل أنت الأجمل.. أحبّك ".

كآخر مرّة قبل سنوات يوم رافقتني إلى مناسبة كهذه كنت أرى الجميع يحتفون بها يأتون للسلام عليها. لكنها فقدت صوتها بعد أن غدا الصمت مهنتها.

ثمّ فجأة، ما عادت تتابع الحديث من حولها. تجمّد نظرها و هي ترى رجلًا بمظهر مميّز يلج إلى البهو. كأنّما الرجال اختفوا، فلم يبق سواه رجلًا بين الحضور.

ذهولها انتقل إليّ. ما كاد يراها حتى توجّه الرجل نحوها. كأنّه جاء من أجلها، برغم كونه بدا متفاجئًا و هو يلمحها.

لم يصافحها. لم يقبّلها على وجنتيها. لم يقل تقريبًا شيئًا، لكن كلّ شيء فيه كان يضمّها.

ما رأيت مشهدًا عشقيًّا أكثر عنفًا و التباسًا. حتى هي المخرجة تجاوزت صاعقة المصادفة خيالها السنمائي لكأني جئت بها لتلقاه. ربما امتنانا لي قالت وهي تعرفه بي :

- صديقتي الكاتبة ...
أضافت الى اسمي صفة الكاتبة كما لتقول أنني من شارك القدر في كتابة هذه المصادفة.
رفع الرجل نحوي نظرة آسرة دون جهد . مد يده يصافحني بفرح مهذب . قال فقط :
- سعيد بمعرفتك
لم يبدو عليه ما يشي بأنه قرأني أو عرفني . لعله سمع بي , أو لعله لم يسمع . رآني يوما ما على صفحات الجرائد او لم يرني من قبل .
كانت حواسه كما ذاكرته مأخوذة بالمرأة التي ترافقني . وكنت سعيدة أنهما نسيا حضوري الصامت المنسحب في حضرة الحب .
ابتعدت كي يتبادلا الاشتياق .
. ثمّ رأيته يودّعها و يمضي صوب قاعة المحاضرات.
تأخّرنا عن الالتحاق بالقاعة. كانت تتعمّد ألّا تدخل معه في الوقت نفسه فتغذّي الإشاعات. كان واضحًا أنّها لم تستمع إلى شيء ممّا ألقي من كلمات. راحت تبحث عنه بعيون قلبها. كانت ركبتاها ترتجفان بعض الشيء.
كلّ ما قالته:
- لن تصدّقي ما يحدث.

و حين أعدت طرح السؤال عليها " ماذا يحدث ؟ " التزمت الصمت. أو لعلّها لم تسمعني. قلبها ما كان يستمع إلّا إلى دقّات قلبه الذي يخفق في مكان ما في القاعة.

فــــي الســــيارة و بعـــد شـــوط مــــن الصــــمت. حاولــــت اســــتدراجها لاعتراف ما قلت:

- كــأنّي أعــرف ذلــك الرجــل الــذي ســلّمت عليــه. لا أدري أين رأيته من قبل.

قالت ممازحة هربًا من سؤالي:

- ربمــا صــادفته فــي كتبــك. ألــم تقــولي " أجمــل حــبّ هــو الذي نعثر عليه أثناء بحثنا عن شيء آخر".

لــم أفهــم.. أتكــون عثــرت علــى حبيبهــا حــين يئســت مــن انتظــاره و ذهبــت عســاها تلتقــي بســواه. أم هــي عثــرت علــى ســواه أثنــاء بحثها عنه. المؤكّد أنّه حبّ قديم اشتعل بعد غياب من رماده.
مــا كانــت جــاهزة لفــتح أيّ حــديث. هــي أصــلًا لــم تحــدّث أحــدًا عــدا ذلــك الرجــل. كأنّهــا جــاءت لتكســر بــه حــداد صــمتها. تركتُهــا تعيش ذهولها به.
قلـــتُ لهـــا و أنـــا أودّعهـــا " بعـــد غـــد سنحضـــر العـــرض الأوّل لفـــيلم.." ردّت " اعـــذريني، تـــدرين أنّنـــي لا أحـــبّ هـــذه المناسبات".
قلــت مازحــة " أفهــم ذلــك.. يكفــي أن تحضــري مناســبة كــلّ أربــع ســنوات.. لتعــودي بحــبّ. بــرغم ذلــك لــن أدعــك تعــودين إلــى خمولك سأهاتفك غدًا.. ربما غيّرت رأيك ".
فــي الغــد عبثًــا حاولــت الاتصــال بهــا بتوقيــت ســاعتنا الصــباحيّة. كــان خطّهــا مشــغولًا، و كنــت مشــغولة أيضًــا بالاســتعداد للســفر. بعــد يــومين عــاودت الاتصــال بهــا عنــد التاســعة صــباحًا. قالــت أنّهــا اســتيقظت بــاكرًا و أنّهــا تأخــذ فطورهــا علــى الشــرفة. ســألتني

إن كنت أودّ المرور بها لنتناول الفطور معًا. أجبتها أنّني على أهبة سفر و لا وقت لي.

- كم ستتغيّبين.
- ثلاثة أسابيع.. لكن اطمئني سأهاتفك من الجزائر بتوقيت موعدنا.
- معقول ؟ الأمر مكلف. لا تهاتفيني رجاءً.

علّقتُ مازحة:

- و ما دخلك في مصاريفي ؟ أنا أهاتفك لأنّي أحتاج أن أهاتف أحدًا عند الساعة التاسعة !

ضحكنا كثيرًا.

قالت:

- إذن دقّي دقّة واحدة عند الساعة التاسعة.

قلت:

- صدقت. في النهاية لا يحتاج الحب الى أكثر من دقة السعادة تكفيها دقّة واحدة... و أيضًا التحايل على جبروت العادات الهاتفية !

احترمت وعدي كي لا أكسر عادتي.

على مدى أسبوعين كنت أدقّ دقّة على هاتفها عند التاسعة بتوقيت بيروت، الثامنة بتوقيت الجزائر، السابعة بتوقيت لندن.

إنّه الجنون... مجددًّا

" ربّما كان من الخير أن نحبّ بعقل و رويّة و لكن من الممتع حقًّا أن تحبّ بجنون ".

البارونة أوركزي

حـــال عـــودتي إلـــى بيـــروت، اســـتعدت عـــادتي الهاتفيّـــة. بـــدأتُ صـــباحي بالاتصـــال بكاميليـــا بتوقيـــت موعـــدنا عســـاني أعـــرف أخبارهــا. أخيــرًا دقّ الهــاتف فــي بيتهــا مــا كــان مشــغولًا هــذه المــرّة كمـــا فـــي كـــلّ مـــرة حاولـــت الاتصـــال بهـــا مـــن الجزائـــر . لكـــن المفاجأة كانت أن ردّ عليّ صوت رجل!

مــن صــدمتي اعتــذرت منــه و أعــدت طلــب الــرقم. لكــن الصــوت نفسه ردّ على الطرف الآخر من الخط.

سألته غير مصدقة تمامًا:

- هل يمكن أن أتحدّث إلى كاميليا ؟

أجاب الرجل:

- إنّها عند الحلاق.
- التاسعة صباحًا عند الحلاق ؟!

كانـــت تلـــك المفاجـــآت مجتمعـــة أكبـــر مـــن أن أســـتوعبها. كيـــف أشـــرح لـــه أن التاســـعة صـــباحًا هـــي " ســـاعتي " و أنّـــه لـــيس مـــن عادة كاميليا أن تغادر البيت في هذا الوقت.

ثــمّ. مــن هــو هــذ الرجــل ؟ الســؤال الأهــم هــو هــذا بالتحديــد. لكــن بــأيّ حــقّ أطــرح عليــه ســؤالًا كهــذا و هــو فــي بيتهــا. و يــردّ علــى هاتفها في غيابها.

قلت معتذرة:

- أنـــا صـــديقتها.. أحـــاول الاتصـــال بهـــا منـــذ أيـــام لكـــن خطّهـــا مشغول دائمًا. أردت الاطمئنان عليها ليس أكثر.
- إنّهـــا جيـــدة.. فقـــط هـــي مشـــغولة بالاســـتعداد للســـفر. سنســـافر بعد الظهر. لذا هي مزدحمة بعض الشيء.

- تسافران اليوم ؟!
كانت نبرتي شبيهة بنبرة عشيق غيّور اكتشف خيانة حبيبته.
حاولت تخفيف وقع سؤالي، بسؤال آخر.
- إنها مفاجأة... تسافران إلى أين ؟
- إلى اليونان..
علّقتُ بنبرة زوج مخدوع:
- متى قرّرتما هذه السفرة ؟
- البارحة... أو بالأحرى منذ زمن.
لم أناقش الرجل في ما يقوله. كنت أريد مناقشتها هي. متى دخل هذا الرجل في حياتها ؟ أيكون هو ذلك الرجل الذي التقت به ذلك اليوم في البهو ؟ و هل يمكن أن تسافر مع رجل التقت به قبل أيام ؟ مثل هذا التصرف لا يشبهها. أو لعلّ الآخر عاد. لماذا لم تخبرني بذلك إذن ؟ لعلّها خافت أن أعود و أحذّرها منه. استنادًا إلى عام من العذاب. و ماذا لو كان صديقًا قديمًا أو مشروع حبّ سابق وجد الآن فرصته لدخول حياتها. فكثيرون كانوا يتمنّونها حبيبة و يحسدون من اختارته و أخلصت له من دون الرجال. كان في وفائها المرضيّ له إهانةً معلنةً لرجولتهم ربما عادوا الآن ليجرّبوا حظّهم.
كنت سأستدرجه للكلام. عساه يقول ما يشي به. لكنّه هو من قال ما فاجأني:
- سأخبرها أنّك اتصلت. ثمّ أضاف بضحكة مخاتلة.. ألست صديقتها التي تحرّضها على النسيان؟
أفقدتني سخريته المهذّبة صوتي. و امتلأت غيظًا. كيف لم تحتفظ بسرّ كهذا. و أفشت به لأوّل رجل دخل إلى حياتها.

أو لـــذاك الـــذي عـــاد إليهـــا و قضـــيتُ شـــهرين أقنعهـــا بنســـيانه. يـــا لحماقة النساء!

قلت:

- كنت فقط أساعدها كي تتماثل للشفاء.
- تقصـــدين تتماثـــل للشـــقاء. و عنـــدما تكـــون قـــد نســـيت كـــلّ شـــيء هـــل ســـتكون أســـعد ؟ وُجـــد الحـــبّ لينســـيك المـــوت. لـــذا كلّمـــا تنازلت عن مساحة من ذكرياتك تقدّم الموت و احتلها.

انقلبـــت كـــلّ الأدوار و أصـــبحت فـــي دور المـــتهم وجـــدتني أدافـــع عن نفسي:

- أنـــا مـــا أردتهـــا أن تتخلّـــى عـــن ذكرياتهـــا. بـــل فقـــط عـــن رجـــل عذّبها و أبكاها و أشقاها و نسيها.
- مـــن قـــال أنّـــه نســـي ؟ أتعتقـــدين أنّ وحـــده الفيـــل يتـــذكّر ؟ و وحدها التماسيح تبكي ؟ و وحده النسر يُخلصى ؟

أيكـــون ذلـــك الرجـــل عـــاد بعـــد عـــام مـــن الغيـــاب و هـــو الآن يصـــفي حســـاباته معـــي ؟ يـــا لتلـــك الحمقـــاء. لكأنّهـــا قضـــت فتـــرة غيـــابي فـــي الحديث عني.

سألته ممازحة تلطيفًا للجوّ:

- عذرًا.. أتكون نسرًا ؟

جاء جوابه مراوغًا:

- كـــان جميلًـــا لـــو كنـــت نســـرًا. أنـــا مجـــرّد رجـــل. لكـــن النســـاء عامـــةً لا يفـــرّقن بـــين النســـور و الصـــقور. النســـر لا يحـــطّ على جيفة و لا يعود إلّا لأنثاه.
- و لمـــاذا يتخلّـــى عنهـــا إذن ؟ أهـــو نـــداء المـــدى.. و لأنّ جناحيه أضخم من أن يبقياه أرضًا ؟!

- لا.. مأساة النسر أنّه أسد يطير. إنّه أسد السماء. لكن أنثاه لا ترى فيه إلّا طائرًا. ماذا تعرف النساء عن غيرة الأسد و أنفته ؟ عن جنونه حين يشكّ في أنثاه فيعود لينكّل بصغارها.

- على علمي هو يفعل ذلك حين يريدها و تمانع.
- جميل.. يبدو أنّك تعرفين عن الحيوانات أكثر ممّا تعرفين عن الرجال !
- معلوماتي تقتصر على الحيوانات التي أحببت.
- في المرة القادمة أحبّي نسرًا كي تطمئني إلى كونه سيعود. فالفيل يملك ذاكرة انتقاميّة..
- و لهذا يموت وحيدًا !
- و هل أحببت فيلًا أيضًا ؟!
- كنت سأفعل طمعًا في وفائه. لكن عيوب الفيل أكبر من حسناته لذا ألغيت المشروع. سأكتفي بحبّ رجل.
- لماذا تعتقد النساء أنّ الرجال جميعهم خونة ثمّة سادة للوفاء جاهزين للموت عشقًا. كما ثمّة نساء خائنات يقتلن في الرجل رغبته في الإخلاص. الرجل يحلم بامرأة يخلص لها بإمكانه أن ينتظرها عامًا و أكثر سيستعين بذكراها على كلّ نساء الأرض فقط من أجل شهقة اللقاء حين يعود لها.

ظننتني أمسكت بدليل على أنّه الحبيب السابق. سألته:

- هل أفهم أنّك عائد من الماضي ؟

ضحك ضحكة ماكرة و قال:

- الماضي؟ لا أنا رجل الحاضر.

- و لماذا تدافع عن الماضي إذن ؟
- أنـــا لا أدافـــع عــن الماضـــي. أنـــا أؤمــن بـــالحيوات العــدّة لقلـــب واحد ليس أكثر.

أســـقط بيـــدي. هـــذا رجـــل خـــارج التقـــويم الزمنـــي العـــاطفي. لـــن أعــرف أبــدًا مــن يكــون. لكنّنـــي أتوقّــع أن يكــون أحبّهـــا بجنــون فـــي زمن ما.

كما حين قال:

- أتظنـــين العشـــاق الـــذين انصـــرفوا بـــاكرًا مســـتغرقين فـــي النســـيان ؟ عنـــدما يتعـــذّر عليـــك أن تحـــبّ أكثـــر أحـــبّ أقـــل. كلّمـــا ينســـحب الحـــبّ يعــود أقــوى. إنّـــه يتغـــذّى مـــن فقدانـــه. صـــمت بعـــض الشـــيء ثـــمّ واصـــل.. تلـــك اللبـــؤة كنـــت هـــي كـــلّ حين و كانت أنا أحيانًا. و هو ما لا يقبل به أسد !

تـــراه كـــان يعنـــي صـــديقتي ؟ كنـــت أعـــدّ دفـــاعي عنهـــا فأنـــا أعرفهـــا بقـــدر مـــا يعرفهـــا و أكثـــر. أنـــا صـــديقتها منـــذ خمـــس عشـــرة ســـنة و إن كـــان رجلًـــا أحبّتـــه يومًـــا فـــي الماضـــي فهـــي حتمًـــا أخلصـــت لـــــه. لكـــــن الحـــــبّ لا يكتفـــــي و لا يشـــــبع إنّـــــه التهـــــام و افتـــــراس للآخـــر. كـــلا العاشـــقين يـــرى أنّ مـــا أعطـــاه أقـــلّ ممـــا أعطـــي. و أنّـــه لـــم يفتـــرس حبيبـــه تمامًـــا و كليًّـــا ثمّـــة شـــيء منـــه نجـــا مـــن بـــين فكيه، و على هذا القليل يختصمان.. و يفترقان!

قبـــل أن أبـــدأ فـــي مرافعتـــي دقّ هاتفـــه الجـــوال و اضـــطر إلـــى قطـــع مكـــالمتي معتـــذرًا. ربمـــا كانـــت كاميليـــا علـــى الخـــط. حتمًـــا هـــي مـــا اكتفـــت بمـــا أرســـلت إليـــه مـــن ميســـاجات أثنـــاء وجودهـــا تحـــت السيشوار.. الآن يلزمها صوته !

وقّر عليّ مجيء الهاتف كثيرًا من الجدل و عناء الدفاع دون جدوى عنها. ثمّ أنا لن أعرف أبدًا أيّهما على حقّ. يقول مثل لبناني" قاضي الأولاد شنق حالو " فما بالك إذن بقاضي العشاق !

حين توقّف صوته لعنته في قلبي.

كم شوّش هذا الرجل عقلي. كنت سعيدة قبل سماعه. كنت من حزب النسيان. و أصبحت من أنصار النسور. و لو استمرّ الحديث معه، كنت سأنشقّ عن حزب النساء، و انخرط في حزب الرجال.

أعود و أصحّح نفسي. بل انخرط في حزب العشاق فهذا الرجل أسرني بكلامه، لأنّه يدافع عن الحبّ. كلّنا ضعفاء أمام الحبّ. كيف أعلن الحرب على رجل يقول أنّه يريد أن يحبّ امرأة كلّ دقيقة و مأخذه عليها أنّها احتفظت بدقائق لنفسها.

ماذا نريد غير رجل كهذا ؟ لولا أنّ هذا المخلوق ليس رجلًا. هو نفسه يقول أنّه نسر.. و أسد. فكيف نعيش معه في غاب هو ملك فيه علينا. لماذا ناضلنا إذن نحن النساء على مدى قرون ؟

في الواقع، نحن ناضلنا لنستعيد حقوقنا من هذا الرجل بالذات. ثمّ عدنا و ناضلنا لنستعيده هو بالذات. و ما زلنا لا ندري ماذا نريد منه بالتحديد !

أنا نفسي لا أدري ما أريده منه. أشعر أنّي بقيت على جوع إلى حديثه. ثمّة أشياء كان يمكن أن أسرق بوحه بها و هو في فرحته هذه بعودة الحبّ إنّها اللحظة الأمثل لاقتناص بوحه.

بعدها سيأتي زمن تتوقف فيه ثرثرة الرجال. تحتاجين حينها إلى إجلاسه على كرسي كهربائي.. لتأخذي منه كلمة.
قرّرت أن أعاود الاتصال به. لي ذريعة منطقيّة:

- ألو
- أهلا
- عذرًا.. أدري أنّك تستعد للسفر أشكرك لأنّك أعطيتني من وقتك...
- عندما أعطي أنسى.
- لكن من واجبي ألّا أنسى لطفك برغم كوني أعمل على النسيان !
- ألهذا اشتريت موقعًا للنسيان على الانترنت ؟

يا الله حتى هذا أخبرته به !
قلت بتحدٍّ:

- بل اشتريت اثنين. حتى " نسيان.NET" اشتريته !
- إنّه استثمار سيء.. لقد اشتريت إفلاسك. لا أفقر ممن لا ذكريات له !
- لن أكون المفلسة الوحيدة.. العالم كلّه يمرّ بأزمة اقتصادية. الجميع أفلس.
- و لأنّه أفلس يحتاج إلى ذكرياته و ماضيه..
- ذكرياته الجميلة.. لا البائسة. المطلوب ذاكرة انتقائيّة.. لا يمكن أن نسمح للذين آذونا أن يواصلوا العبث بحاضرنا. أذًى واحد يكفي. و لا تقل " اغفري " أنا لا أغفر ! هل تغفر أنت ؟!

- تقصـــدين فـــي الحـــبّ ؟ الحـــبّ أصـــلًا أذًى. لأنّـــك لا تتناولينـــه بجرعـــات محـــدودة. تكثـــرين مـــن الحبيـــب و تدمنينـــه فتتـــأذّي به و تؤذيه لفرط حاجتك الدائمة و المتزايدة إليه.

ثـــم تتمـــرّدين عليـــه.. و تهجرينـــه فتمرضـــين بـــه و تتســـبّبين فـــي مرضـــه. و فـــي هـــذه الحالـــة فقـــط أغفـــر. عنـــدما مـــن يؤذيك حبًّا يفوقك عذابًا بك.

- شكرًا.. لكأنّك تزفّ لي بشرى.
- بل أزفّ لك خبرة.
- أتكون طاعنًا في الحبّ..
- طاعن في الأذى.

حاولت أن آخذ " الأذى " مأخذه الأجمل.

قلت:

- في جميع الحالات يسعدني أن أكون شاهدة على حبّكما.

قـــال كمـــا ليـــذكرني بـــدوري الســـابق فـــي إقناعهـــا بنســـيانه, قاطعـــا علي طريق العودة للتدخل في قصتهما .

- العشاق و الشرفاء ليسوا في حاجة إلى شهود.

كـــان واضـــحًا أنّـــه يعـــاتبني و يلغـــي دوري فـــي حياتهمـــا بعـــد الآن. ككـــل الرجـــال هـــو لا يطمـــأن الـــى الصـــديقات الائـــي يحطـــن بحبيبتـــه . يـــدري قـــدرتهن علـــى تشـــكيل حـــزب فـــي مواجهتـــه عنـــد أول خـــلاف . انـــه كـــأي حـــاكم لا يرضـــى بتأســـيس اي تجمـــع خارج الحزب الحاكم .

راودنـــي الإحســـاس أنّـــه قـــد يســـعدها لأيّـــام ثـــم سيســـتفرد بتعـــذيبها. و لن تجرؤ على أن تعود لتشكوه لي مجددًا.

قلت:

- لقد عاودت الاتصال بك لأنّ لي طلب عندك. ربما لن تسمعني مجددًا. ربما لن نلتقي أبدًا. لكن لي ثقة في شهامتك. أيًّا كنت عدني ألّا تعذبها. فقد تعذّبت كثيرًا في الأشهر الماضية. ما عاد لي من وقت و لا جهد لمساندتها مرة أخرى. كن أنت سندها حتى حين تكون أنت الخصم. إنّي أودعتك إيّاها.

صمت ثمّ قال:

- الغالي وديعة الغالي.

و أغلق الخط.

ما أحلى الرجوع إلى... مصائبه!

" من الصعب أن تحبّ و تكون حكيمًا "

عاد الحب ..
وعادت كاميليا الى عادتها القديمة .
عشـــقها المفتـــرس افتـــرس أعصـــابي. و أتوّقـــع أن يعـــود و يفتـــرس أحلامها مجددًا.
هكـــذا أحاســـيس أقـــوى مـــن أن تحـــافظ علـــى خـــطّ بيانهـــا انهـــا تســـتنزف أصـــحابها مـــدًّا و جـــزرًا.وصـــالا وهجـــرا هـــو العشـــق.
إنّـــه التطـــرف نفســـه. و قريبًـــا ســـتبكي كاميليـــا مـــن جـــوره و مـــن ظلمه و صدّه. و لن أكون هنا بعد اليوم لتبكي على كتفي.
شـــهران و أنـــا أســـتميت دفاعًـــا عـــن النســـيان. مـــن أجلهـــا و مـــن أجـــل الحمقـــاوات أمثالهـــا اشـــتريت كـــلّ نســـيان العـــالم و اســـتحدثت موقعًـــا. و أسّســـت حزبًـــا نصّـــبت نفســـي عليـــه أمينًـــا عامًـــا و نـــائبًـــا. واثقـــة أنّنـــي لـــو رشـــحت نفســـي فـــي الانتخابـــات اللبنانيّـــة (و هـــو مـــا يحـــقّ لـــي بصـــفتي لبنانيـــة أيضًـــا) سأكتســـح الســـاحة السياســـية. و لـــن أبقـــي مـــن كرســـي لأقطـــاب 8 أو ل 14 آذار فأنـــا لا أحتـــاج إلـــى طبـــل أو إلـــى مزمـــار و لا إلـــى ليـــرة أو دولار لأقنـــع خمســـة منتخبـــين علـــى ســـتة بإعطـــائي أصـــواتهم. نظـــرًا إلـــى أنّ هذه هي نسبة الفتيات في لبنان مقابل رجل واحد أحد!
أســـوق هـــذه التوضـــيحات , حتـــى لا يقـــول أحـــدكم ان أنـــا فـــزت بنســـبة تفـــوق التســـعين فـــي المئـــة بفتـــات مـــن الأصـــوات أننـــي زورت الانتخابات .

وفـــي جميـــع الحــــالات انـــه غيـــر وارد علـــى الاطـــلاق أن تســـمح أنفتـــي بأقـــل مـــن تســـعين بالمئـــة مـــن الأصـــوات , فهـــذا رقـــم أزلـــي من ثوابت الديمقراطية عندنا غير قابل للمساس أو النقاش .
تمامـــا كـــرقم المليـــون بالنســـية للشـــعوب العربيـــة , التـــي تـــرى فـــي نقصـــان صـــفر مـــن هـــذا الـــرقم انقاصـــا لكرامتهـــا . هـــي ليســـت معنية بديمقراطية "التسعين" بل بمجد "الملايين".
لـــن أحتـــاج أن يتبنـــى حملـــة انتخـــابي عصـــابة مـــن المقـــاولين وكبـــار اللصـــــوص , فأعـــــدهم بالصـــــفقات و المناصـــــب الحلـــــوب. ولا أن أمـــد يـــدي الـــى خبـــز الفقـــراء لأمـــول مـــن خزينـــة الدولـــة صـــوري العملاقة على الجدران و منشوراتي الدعائية .
حمـــدا لله النســـيان مطلـــب نســـائي جمـــاهيري لا يســـتدعي ترويجـــا ولا تهريجا .
و قـــد تـــؤهّلني نتـــائج الانتخابـــات لإعـــلان نفســـي رئيســـة جمهوريّـــة النســـيان لكـــلّ نســـوان العـــالم العربـــي. و حينهـــا سأتصـــرّف لمـــرّة كرجـــل. لتعـــذرني الأخـــوات المناضـــلات لـــن أرضـــى بتقاســـم الســـلطة أو تـــداولها مـــع أحـــد. و كمـــا يشـــغل الحكّـــام شـــعوبهم بالحروب و القضايا المصيريّة، سأشغل
وأجعـــل مـــن " الشـــوبينغ " قضـــيتهنّ الأولـــى و أســـتحدث مـــن أجلهـــن أعيـــادًا للتســـوق و مواســـم للتنـــزيلات تبـــدأ مـــن هـــلا ينـــاير إلى هلا ديسمبر كي أتمكّن من التفرّغ لحراسة الكرسي.
ثمّـــة وجاهـــة فـــي أن يكـــون المـــرء " حـــارس كرســـيّ " حتـــى و إن كان كرسيًّا شاغرًا للنسيان.
حتمًـــا ســـتواجهني إشـــكاليّة توريـــث هـــذا الكرســـي. نظـــرًا إلـــى كـــون المنصـــب يتطلّـــب امـــرأة و أنـــا لـــم أنجـــب إلّـــا صـــبيانًا. لكـــن سأباشـــر

منذ الآن بإعداد أختي صوفيا لهذا المنصب. فلقد شرّع لنا الرفيق فيدال كاسترو أطال الله عمره حقّ توريث السلطة بعد نصف قرن من الحكم.. إلى الأخ!

و لم لا ؟ مادام " زيتنا في دقيقنا ". المشكل الحقيقي، سيكون في صعوبة حكم ملايين النساء الحمقاوات اللائي لا يمتثلن للتعليمات و لا يعرفن ماذا يردن بالضبط من الحياة. هنّ منخرطات في حزب النسيان و عينهن على الرجال. يقلن " لا " و يضمرن " نعم ".

كهذه المجنونة التي أنفقتُ شهرين في إقناعها بالنسيان و ما كاد يقول لها هذا الرجل " هاي " حتى قالت لي " باي " و لحقت به. بل لم تقل لي حتى " باي " و لا أخبرتني بما حلّ بها. و لا كيف تطوّرت الأمور بهذه السرعة بينهما و حصلت المعجزة. أليس من حقّي أن أعرف ؟! أهاتفها فيطلع لي رجل.. لا أعرف حتى الآن من هو! معقول ؟! يعرف هو كلّ شيء عنّي و لا أعرف حتى اسمه.

يا الله كم الفرح أناني. و كم الحبّ لا مبالٍ. حين يجيء الحبّ بسعادته الخرافية تلك. تنسى الأخت أختها. و الصديقة صديقتها. و يتنكّر الأب لأولاده.. و الأولاد لأمّهم.

للحبّ مجرّة لا علاقة لها بأفلاكنا. كاميليا الآن في كوكب على بعد سنوات ضوئيّة من عالمي الأرضي. لا يمكنها رؤيتي حتى بالعين المجرّدة. باختصار ما عدت موجودة بالنسبة لها. و قد كنت على مدى شهرين كلّ حياتها.

أخذت السماعة و طلبتها على جوّالها. فردّت عليّ بشهقة الفرحة من كوكبها و هي وسط ضجيج صالون الحلاقة.

- أهــــلا.. حبيبتـــــي اشـــتقت لـــك.. متـــى وصـــلت.. طمنيني عنك..
- وصلت البارحة حاولت الاتصال بك لكن..
- أنا لا أسمعك جيّدًا إنّي في صالون الحلاقة..
- متى أراك ؟
- ســيكون صــعبًا أن نلتقــي اليــوم.. ســأغادر إلــى المطـــار بعـــد ســاعتين.. أراك حــين عــودتي بعــد أسبوع أو أطلبك من هناك..
- أحتاج أن أراك قبل أن تغادري..
- هل ثمّة شيء ؟

(ســبحان الله تســألني أنــا إن كــان ثمّــة شــيء أو " خبــر عاجــل " ما ؟)

- ثمّــة أشــياء.. لا بــدّ أن نلتقــي قبــل ســفرك.. أعطنــي عنــوان الصــالون حيــث أنــت ســأكون عنــدك بعــد نصف ساعة على أبعد تقدير.

ســجّلت عنــوان الحــلاق علــى ورقــة بيضــاء كانــت علــى مكتبــي. ثــمّ تنبّهــت إلــى شــيء. فجلســت فــي مكتبــي. قلبــت الورقــة و رحــت أكتــب علــى وجههــا الآخــر تعهّــدًا خطــر نصّــه فــي ذهنــي. فــالكلام في مثل هذه الحالات لا جدوى منه !
ارتــديت ثيــابي علــى عجــل و لحقــت بهــا عنــد الحــلاق. كانــت الصبغة على شعرها. وقفت تسلم عليّ بشيء من الاستغراب.
قالت:

- شغلتي لي بالي هل ثمّة شيء؟

- أردتُ أن ألحق بك يا عزيزتي لتوقعي لي هذه الورقة قبل أن تأخذي الطائرة..

[نظرتْ إلى الورقة باستغراب و أخذتها منّي و راحت تطالعها بفضول.

كان على أظافرها طلاء لم يجف بعد. أمسكت بالورقة بحذر بإصبعين و هي مدهوشة لا تفهم ما الموضوع.

أخذت منها الورقة وضعتها على الطاولة الصغيرة المقابلة لها تحت المرآة. و قلت:

- طلبتك في البيت و ردّ عليّ رجل. أتوقع أن يكون حبيبك المنتظر أو حبيبًا سابقًا لا يهم.

بدا عليها الارتباك .قلت:

- كان عليك أن لا تخفي عليّ الخبر. كأنّي بك قد خشيت ردّ فعلي. أنا لست ضدّ عودته.. و لا ضدّ دخول رجل جديد في حياتك. النسيان ليس غاية. إنّه طريق يفضي إلى حبّ آخر. كلّ ما كنتُ أريده ألّا تتعذّبي بعد الآن بسبب رجل. لا شيء يستحقّ ما عشته من آلام. لا تقبلي أن يتسلّى رجل بتعذيبك من أجل لا شيء ثمّ يعود متى شاء.. كأنّ شيئًا لم يحدث.

ردّت:

- هو أيضًا تعذّب.

- انــه مــن أراد ذلــك. هــذا شــأنه أتمنّــى ألّــا تضــعي تكــاليف عذابــه علــى فاتورتــك و تعتــذري لــه. يحــبّ الرجــال قلــب الأدوار!

ما كان يعنيها كثيرًا ما أقوله. سألتني بلهفة:
- ما دمت قد تحدّثت إليه .. كيف وجدته ؟
- الحقيقــة.. أنــا ســعيدة أن تكــون الحيــاة قــد كافأتــك بهــذا الرجــل. ربمــا لــيس هــو مــن انتظرتــه لكنّــه كــان يســتحقّ ذلــك. هــذا رجــل مــن ســلالة النســور. إنّــه طــائر نــادر فعلًــا أســميته " الرجــل النســر ". كــان خــوفي أن تكــوني انتظــرت واحــدًا مــن الرجــال العصــافير الــذين ينقــرون الفتــات حيــث وُجِدَ و يطيرون.

ســعدت لكلامــي. امــتلأت ملامحهــا بهجــة. كمــا لــو أنّهــا نجحت في الامتحان.
قلت:
- عليــك بــرغم ذلــك أن تعلمــي أنّ مثــل هــذا الرجــل ســيعاود الطيــران. إنّ مــن غــاب كــلّ هــذه المــدّة اكتســب مناعــة ضــدّ الفقــدان. أجنحتــه أكبــر مــن أن تــدجّنيها. و عشــقه أكبــر شراســة مــن أن لا يؤذيــك مجــددًا. و فــي المــرّة القادمــة انتكاســتك ســتكون أكبــر، و ألمــك أعظــم، لأنّنــي لــن أكــون هنا لمساندتك.

صــمتت و شــحب لونهــا فجــأة. لكــنّ صــوت قلبهــا كــان يغطــي علــى صــوتي. هــي كانــت تصــدّق نصــف مــا أقــول. تــراهن علــى

المعجـــزة. ربمـــا عـــاد ليرتـــاح و يريحهـــا. لـــيس فـــي مقتبـــل العمـــر هذا النسر !
قلت:
أتوقّـــع أنّ مـــا قلتـــه لـــك علـــى مـــدى شـــهرين قـــد تبخّـــر أمـــام فرحتـــك بعودتـــه. ليبـــق لـــك ممـــا قلتـــه علـــى الأقـــل أربـــع نصـــائح. إن حفظتهـــا و عملـــت بهـــا لـــن يعـــذّبك رجـــل بعـــد الآن. لقـــد كتبتهـــا لـــك فـــي هـــذه الصـــفحة فـــي صـــيغة تعهّـــد. أريـــد منـــك أن تقرئيهـــا بـــتمعّن و أن توقّعي أسفل هذه الورقة.
ضحكت و قالت:
- معقول.. جنّيتِ؟!
- لا.. لكنّنـــي أدري أنّ الســـعادة جرّدتـــك مـــن قـــواك العقليّـــة. إنّ قـــانون الحـــبّ لا يحمـــي الأغبيـــاء.. أريـــدك الآن قبـــل أن تلتحقـــي بـــه أن تطـــالعي هـــذه الصـــفحة. و تحفظيهـــا كمـــا كنـــت تحفظـــين عـــن ظهـــر قلـــب المحفوظـــات فـــي المدرســـة. فقـــد توفّر عليك نصائحها كثيرًا من الألم في المستقبل.

ألقت نظرة عجلى على ما جاء فيها. ثمّ قالت:
- أعرفها.. سبق أن قلتها لي..
- لـــيس مهمًّـــا أن تعرفيهـــا بـــل أن تتـــذكّريها. ثـــمّ أريـــد توقيعـــك أسفل الورقة.

أخـــذت قلمًـــا مـــن محفظتهـــا و وقّعـــت أســـفلها و هـــي تضـــحك.. " كاميليا ".
قلت:
- أريـــد اســـمك كاملًـــا أبًّـــا عـــن جـــد.. فهكـــذا توقّـــع النســـاء اللائـــي تحترمن أنفسهن و تحترمن معاهداتهن.

قالت ضاحكة:

- معقول.. تريدين شجرة عائلتي!
- طبعًا.. المرأة توقّع بأصلها لا باسمها. حتى يردعها أصلها. ثمّ تعلّمي أن تضعي بينك و بين أيّ رجل أبوك. لا تدخلي الحبّ مقطوعة من شجرة فيُصبح الحبيب فأسك.. الآخر.

لا أدري إن كان كلامي قد أقنعها أم أنّها كانت تستعجل التخلّص من مواعظي. راحت تكتب اسمها كاملًا على الورقة. أثناء ذلك حضرت الحلاقة تطلب منها مرافقتها لغسل الصبغة عن شعرها.

قلت و أنا آخذ منها الورقة و أقبّلها مودّعة:

- سأحتفظ بها لأذكّرك بها في حالة ما عدت لتشكين لي خيباتك. استمتعي بسفرتك فأنت تستحقينها حقًّا !

ها أنا وحدي , في حقيبة يدي معاهدة النسيان. و في حقيبتها تذكرة سفر إلى جزر الحبّ.

يا للحماقة!

تعهّد

أنـــا الموقعـــة أدنـــاه أقـــرّ أنّنـــي اطّلعـــت علـــى هـــذه الوصـــايا. و أتعهّـــد أمـــام نفســـي. و أمـــام الحـــبّ، و أمـــام القارئـــات، و أمـــام خلـــق الله أجمعـــين المغـــرمين مـــنهم و التـــائبين، مـــن الآن و إلـــى يوم الدين. بالتزامي بالتالي:

- أن أدخـــل الحـــبّ و أنـــا علـــى ثقـــة تامّـــة أنّـــه لا وجـــود لحـــبّ أبدي.
- أن أكتســـب حصـــانة الصـــدمة و أتوقّـــع كـــلّ شـــيء مـــن حبيب.
- ألّـــا أبكـــي بســـبب رجـــل. فـــلا رجـــل يســـتحقّ دمـــوعي. فالـــذي يستحقّها حقًّا ما كان ليرضى بأن يُبكيني.
- أن أحبّـــه كمـــا لـــم تحـــبّ امـــرأة. و أن أكـــون جـــاهزة لنســـيانه.. كما ينسى الرجال.

التوقيع:

بيروت التاسعة صباحًا
18 مارس 2009

+ ملاحظة: مطلوب من كلّ قارئة إضافة اسمها أسفل هذا التوقيع

و الآن.. حلّوا عني!

أحمل شهادة من جامعة النّسيان و يداي خاليتان كمثل قميص على الحبل
الشاعر السويدي توماس ترانسترومر

في الغد ، استيقظت باكرًا. صديقتي التي حاولت إنقاذها من ذاكرة الساعة التاسعة. سافرت و أورثتني " ساعتها ".
ذهبت مع حبيبها و تركت لي جثّة هاتف. ينوب عنها. " إذا رميت طوق نجاة إلى غريق فسيطالبك حتمًا بركوب سفينتك "!
كاميليا ركبت مركب الحب مجددا و ها هي وصلت إلى الشاطئ (لن أقول إلى برّ الأمان فأنا لا أثق في ما ينتظرها في الجزر المسحورة للحبّ !)
ما عاد لها من عقل لتذكرني، أردتها أن تنساه فنستني خلفها أجدف في بحار الذاكرة، كلّ يوم عند الساعة إيّاها !
كان صوتي خدعة عاطفيّة تكسر ساعتها الداخليّة، تخفّف بالكلمات، زرقة الكدمات التي تركها الفقدان. قرص حنان تتناوله كلّ صباح في تضليل هاتفيّ ينسيها هاتفًا لا يأتي.

صـــار علـــيّ الآن أن أعثــر علــى مــن يهــاتفني فــي الســاعة نفســها و لو تضليلًا..
[تبًّــا لهــا.. لقــد أوجــدت لــي حاجــة جديــدة. بثّــت فــيّ نيكــوتين عــادة هاتفية عليّ الآن الشفاء منها.
ثمّــة خيــارين: أن أباشــر بالبحــث عمــن يهــاتفني مــن الصــديقات. و فــي هــذا الــدواء داء لا أريــده. أو أســمح لرجــل أن يقــوم بهــذه المهمــة الهاتفيّــة " العاطفيّــة ". و ســيكون علــيّ لاحقًــا أن أســتعين برجــل آخــر لأتخلّــص مــن طغيــان عادتــه ، و أســتعيد حريّتــي. أيّ أنّنــي ســأكرّر حماقــة الشــعوب العربيّــة التــي درجــت عبــر التــاريخ أن تتكئ على محتل لتتخلّص من طاغية !
ثمّــة حــلّ آخــر حضــرني للتــو. أن أعيــد قــراءة هــذا الكتــاب عســاني أتعلّم منه كيف أنسى. فلا أعرف أحدًا غيري أولى بقراءته.
أحتــاج أن أنســى أوّلًــا صــديقتي و حبيبهــا، و الرجــال النســور، و الرجــال الصــقور، و كــلّ الــذكور و العصــافير و الأســود و الفيلــة. و كــلّ الحيوانــات البشــرية، التــي تمشــي علــى هــذه الأرض، مــن عقــارب و أفــاعي و حربــاء. " و مالــك و مــال الحيوانــات؟ " ستســألني ليلــى و الســاذجات ممّــن خــالفن وصــايا النسيان، و سيأكلهن الذئب الحبيب. و لن أجيب.
" لا تقــدّم أبــدًا شــروحًا لأحــد. أصــدقاؤك الحقيقيّــون ليســوا فــي حاجة إليها و أعداؤك لن يصدّقوها ".
لقــد قمــت مــن أجلكّــن بمــا لــم تقــم بــه الجــدّة الطيّبــة التــي كنــتنّ تحملــن إليهــا الفاكهــة حــين تحــرّش بكــنّ الــذئب فــي الغابــة. (أو كنــتن تتــذرّعن بزيارتهــا لتتحرشــن بــه !) و فتحــت لكــنّ

" حضانة عاطفيّة " في الانترنت لاستقبال ضحايا الذكريات التعيسة، قصد إعادة تأهيلكن للحياة.

و الآن " حلّوا عنّي "!

إنّها التاسعة صباحًا.

هنا ينتهي الكلام المباح عن عمركن المستباح باسم الحب. لذا تركتُ لكنّ صفحات بيضاء، إملأنها بما تشأن من حكاياتكن مع الحبّ و النسيان. ربما أهديتن الكتاب بعد ذلك إلى صديقة.. أو إلى حبيب منسيّ.

لا تنسين في خضم النسيان أن توقّعن تلك المعاهدة. و أن ترسلن إشعارًا بذلك إلى موقع nessyane.com ليضاف إلى توقيع كاميليا و توقيعي و توقيع حزب الصديقات.

+ من المفروض أن نجمع أربعين ألف توقيع نسائي بعدد نسخ الطبعة الأولى من هذا الكتاب وحده. (إلّا إذا قام الرجال بشراء نصف الكميّة من النسخ عن فضول.. أو لمصادرة حقّنا في النسيان).

أما الأهم فأن تحفظن وصايا هذه المعاهدة جيّدًا. توفيرًا لأشهر من العذاب و أعوام من الأوهام.

أتمنّى ألّا تأتي إحداكن في المستقبل لتشكوني ذاكرة عشقيّة ما.

دبروا راسكم ما عاد لي علاقة بالنسيان. سأشرع فورًا بكتابة " فصل الفراق ".

بعد الآن. النسيان.... " **نسيان. كُم** "!

أكبر الخيانات النسيان

صبرت عليك و أدري
كان رهانك كسري
من قهري
قاطعت حنين الوقت إليك
ارتشافي صباحاً لصوتك
ارتطام أشواقي بموجك
من فرط سهادي بك

*   *   *

ما خنتك
لكنّي رحت أخون الزمان بعدك
أعصى عادة العيش بإذنك
أنسى انتظاري لك
فرحتي حين يحلّ رقمك
ازدحام هاتفي بك

*   *   *

كم أخلصت لغيابك
لكنّها ذاكرتي خانتني
تصوّر

ما عدت أذكر عمر صمتك
و لا متى لآخر مرّة قابلتك
و كم من الوقت مرّ من دونك
فكيف قل لي أنتظرك
و أنا ما عدت أعرف وقع خطوك

* * *

مذ افترقنا
ما عاد الأمر يعنيني
سيّان عندي إن غدرت أو وفيت
يكفيني يا سيّد الحرائق
أنّك خنت اللهفة
و أطفأت جمر الدقائق

* * *

ما خنتك.. لكن خانك حبري
مذ قرّرت ألا أكتبك
لن تدري
كم اغتلت قصائد في غيبتك
حتى لا تزهو بحزني
حين تشي بي الكلمات
ما خنتك..
فقط نسيت أن أعيش بتوقيتك

ما عدت أذكر
كم من المطارات حطّ قلبي بها
دون علمك

* * *

و الله ما خنتك
و لا ظننت قلبي
سيقوى على الحياة بعدك
لكنّه الخذلان
علّمني أن أستغني عنك
أصبحت فقط
أنسى أن أسهرك
أأبى أن أذرفك
أكثر إنشغالاً من أن أذكرك
و أكبر الخيانات.. النسيان!

ديسمبر 2007

أيّها النسيان هبني قبلتك

أيّها النسيان أعطني يدك
كي أسير في مدن ذكرى معك
نضج الفراق
على شفاهي أزهرت قبل الوداع
لك قطافي
يا نسيان هبني قبلتك

* * *

يا واهب السلوان
عارٍ من ذكراه عمري
معطفي أنت
إليك افتقاري
يا سيّد الإياب
تفرّق الأحباب
موارب الأبواب قلبي
كلّ افتراق و أنت انتظاري

* * *

نسياني.. يا نسياني
امرأة تشبهني يوما بكت
من رجل كم يشبهك
ها هي ذي اليوم سلت
هو هناك
و هي هنا تراقصك

*   *   *

يا قدري.. يا أملي.. يا رجلي من دون الرجال
يا نسياني
راقصني.. خاصرني.. طيرني.. غازلني
قل "ما أجملك!"
بك أحتفي
لك أفي
ما دمت لي.. ما دمت لك
لن أرتدي حداد الحب

حزيران 2007

أبدًا لن تنسى

لك وحدك
كانت كلماتي تخلع خمارها
و القلب تحت خيمتك
يجلس أرضًا ضيف حبّ
تطعمه بيدك

*   *   *

كم احتفاءً بي
نحرت من غنيمة
ثمّ ذات غيرة بيدك تلك
جورًا نحرتني

*   *   *

أبدًا لن تنساني
أبدًا لن تنسى
أبدٌ من الندم ينتظرك
من أضاعني قضى وحيدًا كحصان
لا مربط بعدي لقلبه

يناير 2006